القسم الأول

حوارات شيخ الأزهر

فى :

- أمريكا .
- باكستان .
- الهند .
- ألمانيا .

obeikandl.com

فى أمريكا

١ هكذا كانت البداية

عندما هبطت الطائرة فى مطار كنيدى فى نيويورك كان فى استقبالها حشد كبير فى مظاهرة لم تر مثلها الولايات المتحدة ..

كان الجميع قد علموا أن مفتى مصر سيصل إلى الولايات المتحدة فى زيارة يلتقى خلالها بالمسلمين والمسيحيين ويبقى بينهم ١٢ يوما متنقلا بين ولايتى بنسلفانيا وأوهايو، ثم مدينتى نيويورك والعاصمة واشنطن .. وكانت السفير سهير زكى قنصل مصر العام فى نيويورك تحمل معها عشرات الطلبات التى تقدمت بها هيئات وجمعيات تطلب تعديل جدول زيارات المفتى لكى يجدوا وقتا لدعوته إلى لقاء معهم .. وكان الحشد الذى يحيط بالمفتى فى كل اجتماع ولقاء خليطا من المسلمين والمسيحيين .. ومن المصريين والعرب والأفارقة .. ومن الأمريكيين السود والبيض .. ومن الرجال والنساء ..

وكان الانطباع الأول عن أهمية هذه الزيارة هو ما قاله أحد أئمة المسلمين الأمريكيين للمفتى :

– لقد تأخرت علينا كثيرا .. كان يجب أن تتم هذه الزيارة منذ سنوات طويلة .. لأننا نحتاج إليك .. ولدينا الكثير مما نريد أن نعرضه عليك ونناقشه معك .. والآن وقد جئت أخيرا نرجو أن تتكرر هذه الزيارة .. وأن تكون بداية جسر يربط بين مصر وهى قلعة الإسلام ومهد الحضارة وبلد الأزهر .. وبين الولايات المتحدة التى يعيش فيها أكثر من ٨ ملايين مسلم متفرقين ،

ويحتاجون إلى من يجمعهم على كلمة سواء .. وأنت تستطيع ذلك بحكمتك .. وعلمك .. وما لمسناه فيك من مقدرة على النفاذ إلى القلوب ..

وتكرر نفس الكلام تقريبا فى كل لقاء للمفتى مع كل جماعة من جماعات المسلمين فى أمريكا .. أما المصريون – مسلمون ومسيحيون – فقد كانت الدموع فى عيونهم انفعالا برؤية المفتى وهو قادم فى صحبة رئيس الطائفة القبطية الإنجيلية فى مصر . الدكتور صموئيل حبيب .. وهما يؤكدان عمق الروابط بين المسلمين والمسيحيين .. وكلاهما يقول نفس الكلام .. حتى إن أحد قادة الكنائس الأمريكية علق فى أحد اللقاءات على هذه الروح الأخوية قائلا :

– إننى أتمنى أن يتعلم الأمريكيون من المصريين كيف يتعاملون معا بروح المحبة والتعاون رغم اختلاف دياناتهم .. لأن ما يحدث فى مصر شىء فريد .. لا يتكرر كثيرا فى العالم .. والآن تأكدت أن ما نقرؤه عن حوادث العدوان التى تقع فى مصر ليست إلا حوادث إجرامية فردية لا يصح أن نعطيها حجما أكبر من حجمها الحقيقى ..

كان الإحساس العام منذ بداية الرحلة إلى نهايتها أنها نجحت فى تحقيق هدفها ، وهو تصحيح صورة مصر والإسلام لدى الرأى العام الأمريكى .. وتبقى متابعة هذه الخطوة الأولى .. لأنها ليست إلا بداية لطريق طويل من العمل إذا أردنا أن نجد لأنفسنا مكانا فى أمريكا ، ولا ندع الساحة بالكامل خالية لغيرنا ينفرد بها ويحقق فيها نجاحا ما كان ممكنا أن يحققه بهذا الحجم لولا غيابنا ..

ورغم مشقة الرحلة التى لم تدع لنا فرصة لالتقاط الأنفاس .. لم يتركنا أحد للراحة .. لأنهم – على حد قولهم – انتظروا طويلا .. وليس ضروريا أن نرتاحوا عندنا ..

وكانت رحلة لا مثيل لها ..

* * *

جاءت فكرة هذه الرحلة حين وجهت الكنيسة الإنجيلية المسيحية فى أمريكا الدعوة إلى فضيلة المفتى ، الدكتور محمد سيد طنطاوى ، وإلى رئيس الطائفة الإنجيلية فى مصر ، الدكتور صموئيل حبيب . لزيارة أمريكا ، للقاء القادة الدينيين الإسلاميين والمسيحيين ، وتقديم صورة للتعاون المشترك بين المسلمين والمسيحيين فى مصر .. وتولى الإعداد لهذه الرحلة ممثل الكنيسة الإنجيلية فى أمريكا لشئون الشرق الأوسط ، الدكتور فيكتور مكارى ، وهو مصرى ، مازال شديد الارتباط بمصر ، قام بالاتصالات ، وإعداد اللقاءات ، كما قام بالترجمة طول الوقت من اللغة العربية إلى اللغة الإنجليزية ، وكان دقيقا فى ترجمته لكلمات المفتى بكل ما فيها من مصطلحات فقهية ، وآيات ، وأحاديث .. كما كان الدكتور صموئيل حبيب حريصا على أن يؤكد فى كل لقاء على أن الإعلام الأمريكى يقدم صورة غير دقيقة لما يحدث فى مصر .. فكل حوادث الإرهاب التى تحدث ليست إلا أحداثا فردية .. لا تمثل مصر .. ولا تستند إلى قاعدة من الرأى العام المصرى .. بل إن المصريين يرفضون مسلك هؤلاء المتطرفين والإرهابيين .. وكان السفير المصرى الممتاز أحمد ماهر سفيرنا فى واشنطن يساند الرحلة بكل ما يستطيع .. وبذلت السفير سهير زكى جهودا تفوق الطاقة .. وكان هناك عشرات الأمريكيين يعملون بحماس لجمعية مصرية أمريكية لتنظيم المساعدات لمشروعات الخدمات الاجتماعية فى مصر ..

وكانت البداية فى مدينة صغيرة فى **ولاية بنسلفانيا** هى مدينة وستمنستر .. فى هذه المدينة كلية مشهورة هى فى الحقيقة جامعة ؛ لأنها تضم مجموعة تخصصات مختلفة .. وقد قررت إنشاء درجة للدكتوراه عن

« صنع السلام » وقررت أن تمنح هذه الدكتوراه الفخرية لأول مرة لكل من المفتى والدكتور صموئيل حبيب ..

وكان الاحتفال مهيبا .. حيث تجمع كل الأساتذة فى أروابهم الجامعية وساروا فى طابور طويل بين مئات الحاضرين من أساتذة الجامعات ورجال الدين والشخصيات الأمريكية البارزة .. وعلى رأس الطابور سار المفتى وهو يرتدى الروب الجامعى ومعه الدكتور صموئيل حبيب .. ووقف جميع الحاضرين .. وارتفع علم مصر .. وتجمع المصريون الذين جاءوا من المدن والولايات المحيطة ، داخل وخارج القاعة ، وبعضهم قطع أكثر من ٢٠٠ ميل من أجل أن يشهد هذه اللحظة .. واشتعلت القاعة بالتصفيق والهتاف لمصر بينما الدكتور أوسكار ريمك يقلد وشاح الدكتوراه للاثنين ، ثم وهو يلقى كلمته ويشيد بروح الأخوة والسماحة فى مصر التى جعلت المسلمين والمسيحيين يحققون معا إنجازات كثيرة فى مجالات التعليم ، والرعاية الصحية ، والخدمات الاجتماعية ..

وكانت كلمات المفتى شديدة التأثير فى الحاضرين وهو يقول فى كلمته فى هذا الاحتفال : إن الله قد أوجد الناس جميعا من أب واحد ، ومن أم واحدة ، وأمرهم أن يعيشوا إخوة ، يحب كل واحد منهم الخير لغيره كما يحبه لنفسه . ونحن فى مصر نحرص – كمسلمين ومسيحيين – على نشر روح الإخاء والمودة فيما بيننا ، لأن هذه الروح السمحة العاقلة عندما تنتشر فى أمة ، يعمها الخير والرقى والأمان ..

وشدت كلمات المفتى انتباه الجميع بدرجة غريبة وهو يقول : إن المسلمين والمسيحيين فى مصر مساكنهم متجاورة ، ومزارعهم ومصانعهم ومتاجرهم متلاصقة ، أو متقاربة ، والخير الذى يأتى إلى مصر لا يأتى للمسلمين وحدهم ، أو للمسيحيين وحدهم ، وإنما يأتى للجميع ..

وازداد الانتباه عندما رنت كلماته وسط السكون الكامل وهو يقول : إن كل من يحمل الجنسية المصرية له من الحقوق ، وعليه من الواجبات ، مثل ما لغيره سواء كان مسلما أم مسيحيا أم يهوديا أم غير ذلك ، لأننا نؤمن أن أبناء البلد الواحد يتساوون فى الحقوق والواجبات ، أما العقائد ، فلكل إنسان عقيدته التى اختارها .. والعقائد لا تباع ولا تشترى ، ولا إكراه فى الدين ، لأن الإكراه لا يأتى بمؤمنين صادقين مخلصين ، وإنما بمنافقين كاذبين ..

وظل الصمت كاملا والمفتى يتردد صوته وسط القاعة المهيبة لكلية وستمنستر وهو يقول : إن علماء الدين الإسلامى والمسيحى فى مصر يتعاونون فيما بينهم تعاونا أخويا صادقا من أجل نشر روح المحبة والمودة والسلام .. لا فى مصر وحدها ، بل فى كل مكان فى العالم .. وهم يفعلون ذلك لأنهم جميعا يعتقدون بأن الأديان السماوية أنزلها الله لسعادة الناس لا لشقائهم .. لأمنهم لا لخوفهم .. لتقدمهم لا لتأخرهم .. أنزل الله الأديان السماوية للتعمير لا للتخريب .. للإصلاح لا للفساد .. للتقريب لا للتفريق .. للفضائل لا للرذائل .. للحب لا للحقد .. وفى كثير من المناسبات الدينية والوطنية يلتقى المسلمون والمسيحيون ليتبادلوا التهانى ، وليتناولوا الطعام معا .. وليجددوا الإخاء مع بعضهم .. وأنا شخصيا تحدثت من فوق منبر الكنيسة الإنجيلية وبحضور آلاف المسيحيين والمسلمين ..

وازداد الصمت أكثر وأكثر عندما قال المفتى بصراحته وتلقائيته :

لقد سمعتم عن بعض الأحداث القليلة التى قام بها بعض الذين لا يفهمون الأديان السماوية فهما سليما ، والذين امتدت أيديهم بالتخريب إلى بعض المنشآت ، وبالعدوان على بعض المسلمين ، والمسيحيين ، والسياح ، وإنى باسم الدين الإسلامى أحيطكم علما بأن الدين الإسلامى برىء من أفعال هؤلاء المعتدين .. ولو أن هؤلاء الجاهلين فهموا دين الإسلام فهما سليما ،

لعرفوا أن غير المسلم دمه مصون كدم المسلم تماما ، وأن أمواله مصونة تماما كأموال المسلم . وأن كرامته محترمة تماما ككرامة المسلم .. ومادام غير المسلم يحترم عقيدة المسلم ، فإن على المسلم أيضا أن يحترم عقيدة غيره ، ولايسىء إليه بأى لون من ألوان الإساءة .. لأن دين الإسلام دين سلام وأمان لكل من يمد يده بالسلام والأمان .. وإننى باسم دينى الإسلامى أدعو كل إنسان سواء كان مسلما أم مسيحيا أم يهوديا إلى أن يعرف أن الأديان السماوية جميعها تدعو إلى نشر المحبة والمودة وتبادل المنافع بين الناس لكى يعيشوا عيشة كريمة ، تظللها راية الحب والعدل والكرامة ..

وانفجرت القاعة بتصفيق استمر طويلا ..

وظل التصفيق وعميد الكلية يقول : هذا كلام نسمعه لأول مرة .. وكنا نحتاج إلى أن نسمعه من مصدر ثقة يعبر عن الإسلام .. وإن هذا الفهم الجديد للإسلام يجب أن ينتشر ..

وأكد هذه المعانى الدكتور صموئيل حبيب رئيس الطائفة الإنجيلية وهو يقول : إن الهيئة القبطية الإنجيلية فى مصر تقدم خدماتها فى الرعاية الصحية والاجتماعية والتعليمية وتنظيم الأسرة وتحسين ظروف المعيشة وإيجاد فرص عمل للشباب .. تقدم هذه الخدمات للمحتاجين إليها فى أماكن عديدة من القرى والأحياء الفقيرة دون تفرقة بين مسلم ومسيحى .. لا يهمنا لمن تصل خدماتنا .. المهم أن تصل إلى من يحتاج إليها .. لا فرق بين مسلم ومسيحى ..

وعلق أستاذ مصرى قائلا : هذه هى مصر أيها السادة .. بلد لا مثيل له فى التسامح .. لأنها أم الحضارة ..

وزيادة فى التكريم دعا رئيس كلية وستمنستر الدكتور أوسكار ريمك المفتى والدكتور حبيب إلى العشاء فى بيته مع عشرات من الأساتذة والشخصيات البارزة .. وكان البيت الأنيق فى مدينة نيو ولمنجتون مكتظا فى

المرتين بعدد كبير من الأمريكيين يحبون مصر حبا يفوق الوصف .. أكثرهم عاش فى مصر سنوات طويلة .. وبعضهم مازال يعيش بمشاعره فى مصر .. ويتحدثون باللغة العربية .. وقالوا : إن زيارة المفتى شجعتهم على أن يتجمعوا ويتحركوا ليشرحوا للأمريكيين الحقائق عن المجتمع المصرى كما لمسوها بأنفسهم لسنوات طويلة ..

وكانت الإقامة فى نيو ولمنجتون .. وفى وستمنستر .. مليئة بالحوارات والمناقشات .. وفى كنيسة وستمنستر تجمع قادة الكنائس الإنجيلية المشيخية فى المنطقة ليسألوا المفتى ويتحاوروا معه عن سماحة الإسلام ، وعلاقته بالأديان الأخرى ، ومصدر العداوة والعنف لدى الجاهلين بحقيقة الإسلام ..

وكانت مناقشة علمية وموضوعية هدفها رغبة حقيقية فى الفهم .. والتفاهم ..

* * *

وفى مسجد كبير فى مدينة ينجستون **بولاية أوهايو** كان قادة المسلمين فى المنطقة فى انتظار المفتى ليسألوه أسئلة فقهية كثيرة عن الحلال والحرام .. بعضهم من المسلمين الأمريكيين البيض .. وبعضهم من السود الذين لا يعرفون الكثير عن الإسلام .. وبعضهم من المصريين والعرب الذين بَعُد بهم العهد فى أمريكا فازدادوا تمسكا بالإسلام ، ولكنهم يفتقدون إلى المعرفة بحقائق الإسلام .. واكتشفنا من الحوار أنه من الخطأ أن يترك هؤلاء لأفكار غريبة تصل إليهم من مصادر تجهل الإسلام ..

وأدركنا أن مسئولية مصر أن توفد عددا أكبر من الأئمة ورجال الدين والدعاة إلى كل أنحاء الولايات المتحدة .. لأن هذه قاعدة عريضة للإسلام .. قاعدة جديدة .. تتطلع إلى مصر .. وتمد يدها لتطلب العون .. ووطن الأزهر هو الذى يستطيع أن يقود ويعلم ويجمع كل هؤلاء على كلمة الحق ..

وتكررت أسئلة مُحَيِّرة فى مسجد مدينة **نيو كاسل** : هل اختلاط الرجال والنساء فى العمل حرام ؟ .. وماذا يفعلون وهم فى أمريكا حيث الاختلاط أمر من ضرورات الحياة ؟ .. والعمل أيضا من ضرورات الحياة ؟ وهل التعامل مع البنوك حرام ؟ وماذا يفعلون وهم فى أمريكا .. حيث لا يستطيع الإنسان أن يشترى بيتا أو سيارة أو متجرا إلا عن طريق التعامل مع بنك .. بل لا يستطيع أن يتعامل فى أبسط صور الشراء والبيع إلا عن طريق بطاقات الائتمان التى تصدرها البنوك .. ومقاطعة البنوك معناها عدم التعامل أو عدم العمل والانقطاع عن الدنيا كلها ؟ .. وأسئلة أخرى كثيرة .. ماذا يحدث فى مصر ؟ وأين الكتب الدينية التى تصدرها مصر ؟ ولماذا لا تصل إلينا ؟ ولماذا لا تنتج فى مصر أفلام فيديو لتعليم الصلاة والصوم والحج والزكاة وتفسير القرآن ؟ .. على أن يكون ذلك باللغة الإنجليزية وتباع بثمن معقول ويمكن أن تجد سوقا تناسب من يعيشون فى أمريكا وقد فقدوا الصلة باللغة العربية ؟ وهذه مشكلة كبيرة .. لأن أبناء الجيل الثانى من المهاجرين تبعُد الصلة بينهم وبين مجتمعهم الأصلى ، ويندمجون فى المجتمع الأمريكى ، ويصبحون أمريكيين دما ولحما .. وإن كان الباقى فى ذاكرتهم أنهم أبناء مصريين هاجروا ، ولا يعرفون عن مصر إلا بقايا ذكريات مما كان يحكيه لهم آباؤهم فى طفولتهم ..

هذه المشكلة لابد أن ننشغل بها .. لأن اللغة العربية هى الخيط الذى يمكن أن يربط بين عشرات الالاف من أبناء المصريين وبين وطنهم .. ولو انقطع هذا الخيط فسوف تنقطع الصلة بالوطن الأم .. وتفقد مصر رصيدا مهما لها فى داخل المجتمع الأمريكى ..

وهذه المشكلة سبق أن أثيرت .. وكانت هناك مشروعات بطبع كتب لتعليم اللغة العربية تتناسب مع أبناء المهاجرين الذين يتحدثون بالإنجليزية ..

ومشروعات أخرى لإنتاج شرائط كاسيت وفيديو لتعليم اللغة العربية .. ولكنها كلها لم تنفذ ..

وجاءت زيارة المفتى لكى تجعلنا نلمس بأنفسنا مدى أهمية هذا الموضوع ، وأعتقد أن واجب وزارات : التعليم والخارجية والأوقاف أن تبدأ فى تنفيذ مشروع لإيجاد جسور مع المهاجرين وأبنائهم فى أمريكا .. خسارة أن نفقدهم .. وخسارة أكبر أن نتركهم لغيرنا ليبنى عقولهم وفقا لمصالحة .. ولنا أن نتصور حجم الفائدة التى تعود على مصر إذا ظل المهاجرون وأبناؤهم على صلة بها .. كيف سيكون حجم الفائدة اقتصاديا .. وسياسيا .. بدلا من أن نشكو من نشاط اللوبى الصهيونى فى أمريكا الذى يمارس الضغط على سلطات اتخاذ القرار ويشارك فى توجيه السياسات لصالح إسرائيل .. لماذا لا نبدأ نحن أيضا بالعمل وفقا لقواعد اللعبة الأمريكية التى تعطى لكل جماعة الحق فى ممارسة الضغط ، وتكوين اللوبى الذى يدافع عن مصالحها ..

لابد أن نعترف بأننا قصرنا طويلا فى حق المصريين والمسلمين الذين يعيشون فى أمريكا .. وقد تصورنا أن عليهم هم أن يأتوا إلينا إذا أرادوا .. أما نحن فلن نذهب إليهم .. ولن نتغلغل فى تجمعاتهم .. ونتصل بهم فى المدن الصغرى والكبرى ليشعروا أننا نفكر فيهم ، وأننا لا نلجأ إليهم فقط حين نريد أن نطلب منهم .. ولكننا نعطيهم أيضا .. ونفتح قنوات الاتصال والحوار بيننا وبينهم .. وكما نذهب إليهم فسوف يأتون إلينا .. وبذلك تصبح مصر هى الوطن الثانى بحق لكل المصريين المهاجرين .. ولكل المسلمين فى أمريكا .. وهذه قضية مهمة .. بل شديدة الأهمية .. ولابد أن نفكر فيها بجدية ، ونبدأ فى العمل فيها ولو بسياسة الخطوة خطوة ..

وزيارة المفتى يمكن اعتبارها الخطوة الأولى على هذا الطريق ..

* * *

فى الكلية اللاهوتية فى مدينة بتسبرج كان رئيسها وأساتذتها وطلبة الدراسات العليا فى انتظار المفتى والدكتور حبيب .. وكان ترحيب رئيس الكلية الدكتور سام كاليان بالمفتى يفوق الوصف ، وقال : إن هذه هى الفرصة الأولى التى نلتقى فيها بأكبر قيادة دينية إسلامية فى مصر ، ولذلك نعتبرها فرصة لنتعرف على حقائق الإسلام .. وما يثار عن التطرف الإسلامى ..

وقال الدكتور سام كاليان أيضا : إن هذه مناسبة تاريخية حيث تستضيف الكلية اثنين من قادة الدين الإسلامى والدين المسيحى معا ، وقد جاءا فى طائرة واحدة .. وسيارة واحدة .. ولهما دور ملحوظ فى نشر التفاهم بين أصحاب الديانتين وفى مواجهة التوتر والعنف السياسى فى بلديهما .. ونحن نرحب بهما لإجراء حوار سلمى حول ما يجرى فى البوسنة وفى أنحاء أخرى من العالم ، ونحن نتطلع إلى حل مشاكل كثيرة تستخدم فيها العقائد الدينية لإشعال الحروب بين البشر .. نحن لا نستطيع أن نعيش شعوبا متفرقة ومنقسمة .. وإن تحقيق السلام بين الأديان ضرورى لكى يتحقق السلام بين الأمم .. وفى أمريكا أكثر من خمسة ملايين مسلم ، وهم ضعف عدد المسيحيين الإنجيليين فى أمريكا .. لقد أصبح الإسلام هو الدين الثانى فى فرنسا والثالث فى أمريكا من حيث عدد المؤمنين به ، وسوف يصبح الدين الثانى فى أمريكا فى عام ٢٠١٠ .. وبذلك لم نعد نستطيع تصور الإسلام على أنه الديانة التى تخص أبناء الشرق الأوسط أو أفريقيا أو آسيا ، ولكن الإسلام – مثل اليهودية ، والمسيحية – هو الآن ديانة أمريكية ..

وتحدث المفتى عن الإسلام فقال إنه دين السماحة ، لأنه يعطى لغير المسلم نفس الحقوق التى يعطيها للمسلم ، ويفرض عليه نفس الواجبات .. والقاعدة أن غير المسلمين فى مجتمعنا كما أمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم : « لهم مالنا ، وعليهم ماعلينا » وقال : إن المسلم لا يكون مسلما إلا إذا آمن بالله ،

وكتبه ، ورسله جميعا دون تفرقة بين أحد من رسله .. ولذلك يقول الله تعالى فى سورة البقرة : ﴿قولوا آمنا بالله ، وما أنزل إلينا ، وما أنزل إلى إبراهيم ، وإسماعيل ، وإسحق ، ويعقوب ، والأسباط ، وما أوتى موسى ، وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون ﴾ . والإسلام دين يرفض العنف .. ﴿لا إكراه فى الدين ﴾ و﴿وجادلهم بالتى هى أحسن ﴾ و﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ .. وهو دين سلام : ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ﴾ .. وهو دين يحرم القتل تحريما مطلقا ويعتبر قتل إنسان واحد قتلا للبشرية كلها ﴿من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ﴾ ..

وقال القس الدكتور صموئيل حبيب إن الهيئة الإنجيلية استطاعت بناء علاقات سليمة مع المسلمين من ناحية ، ومع الطوائف المسيحية الأخرى من ناحية أخرى .. حيث جمعت ١٨٠ من رجال الدين الإسلامى والمسيحى الكاثوليك والأرثوذكس والإنجيليين لدراسة دور الكنيسة فى التفاعل مع المجتمع .. وبعدها جمعت ٦٥ من رجال الدين الإسلامى مع قادة الدين المسيحى لدراسة دور المسجد والكنيسة فى التعاون لخدمة المجتمع .. ونعد الآن لإجراء حوار بين الديانات لنصل إلى تفاهم مشترك يجعلنا أكثر قدرة على أن نعمل معا فى كل المجالات ..

وفى مدينة بتسبرج تكررت اللقاءات فى الكنائس والمراكز الإسلامية ودارت حوارات غاية فى الأهمية سأعود للحديث عنها .. وقد خرجنا منها بانطباع بأن هذه الزيارة حققت أكثر مما كنا نتوقع ، وإن كانت قد فتحت طريقا واسعا لعلاقات مفيدة داخل المجتمع الأمريكى إذا استطعنا أن نواصل السير عليه دون تردد أو تأخير ، فسوف تكون النتائج مفيدة لنا بأكثر مما نتصور ، لأن الأيدى التى تريد أن تلتقى بأيدينا هى الآن فى أمريكا كثيرة جدا .. أكثر مما نتصور ..

٢ وجها لوجه

عندما بدأنا الرحلة إلى أمريكا كنا نعرف أنها ليست رحلة سهلة ..

كان برنامج الرحلة يتضمن لقاءات يومية تبدأ فى التاسعة صباحا وتنتهى فى العاشرة مساء .. ويتضمن رحلات بالطائرات والسيارات لساعات طويلة .. ولا يراعى الإرهاق الذى يعانى منه المسافر من مصر إلى أمريكا فى أيامه الأولى نتيجة لفروق التوقيت .. حيث الساعة فى أمريكا متقدمة سبع ساعات عن مصر .. فالعاشرة مساء هناك هى الثالثة بعد الظهر فى مصر .. ولذلك يحتاج الإنسان إلى يومين أو ثلاثة إلى أن يتلاءم إيقاع جسمه مع التوقيت الجديد ..

كذلك كنا نعرف أننا سنواجه الحملة على الإسلام والمسلمين وجها لوجه .. وقد أصبحت وسائل الإعلام الأمريكية تربط بين الإسلام والإرهاب والتخلف والجهل والعداء للحريات .. وأصبحت صورة الإسلام فى عقول الأمريكيين مشوهة وتثير فيهم مشاعر الخوف والعداء .. وكنا نعرف أن أصواتا كثيرة سوف ترتفع فى مواجهتنا بالهجوم تحت ستار أن المجتمع الأمريكى مجتمع مفتوح .. يستطيع فيه كل إنسان أن يقول ما يشاء دون حدود أو قيود ..

وحين بدأنا الرحلة : فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى مفتى الجمهورية .. والقس الدكتور صموئيل حبيب رئيس الطائفة الإنجيلية فى مصر .. وأنا .. كنا قد اتفقنا على أن كلمة الحق التى نحملها سوف تجد طريقها إلى قلوب وعقول من سنتحدث إليهم .. لأن الحق له قوة فى ذاته .. ومهما نجح أعداؤه فى تشويهه او إخفائه لابد أن يظهر فى النهاية .. وينتصر .

وقلنا لأنفسنا إن هذه رحلة فى سبيل الله .. ويكفينا هذا لنتحمل المتاعب الجسمية والنفسية مهما تكن ..

ومع ذلك فقد لقينا فى أمريكا أكثر مما كنا نتصور ..

الكل متفقون على أن هناك حملات قوية لتشويه صورة الإسلام ..

والبعض يهمس فى أذنك أن اللوبى الصهيونى يضغط بكل قوة لكى يمنع وصول صوت الإسلام .. وصوت مصر إلى الرأى العام الأمريكى .. واللوبى الصهيونى فى أمريكا له قوة يعرفها الجميع وبخاصة فى ميدانين أساسيين : المال .. والإعلام ..

ثم هناك أيضا مجموعات من العرب والمصريين .. هاجروا إلى أمريكا فى ظروف صعبة .. تركوا بلادهم وهم شبه مطرودين منها .. أصحاب فكر منحرف .. عاطلون .. فاشلون جاءوا ليبدأوا طريقهم بغسل الأطباق والسيارات وهم يحملون شهادات عليا .. معارضون سياسيون .. متعصبون يملؤهم الحقد على بلادهم ويريدون أرضا غربية تسمح لهم بممارسة التنفيس عن حقدهم .. أخلاط غريبة من الناس أوشكوا أن يفقدوا قدرتهم على التفكير السليم ، وتحولوا إلى طاقة حقد على بلادهم .. وهم كثيرون .. ومن كل البلاد العربية دون استثناء ..

على الجانب الآخر التقينا بمجموعات من الأمريكيين والعرب والمصريين يمثلون الجانب الآخر .. ناس محترمون .. عاقلون .. يحترمون العقل والمنطق ويبحثون عن المعرفة ، ويريدون بإخلاص أن يعرفوا الحقائق من مصادرها .. ولكنهم لم يلتقوا بهذه المصادر .. وهؤلاء هم الذين قضينا معهم أكثر وقتنا ، لأن الحوار معهم كان متعة عقلية .. وأقنعنا بأن سوء الفهم الذى نلحظه فى الرأى العام الأمريكى سببه أننا لم نبذل مجهودا كافيا لنخاطب هذا الرأى العام .. ونتصل به اتصالا مباشرا .. ونقدم إليه أدلة ونماذج حية لما نتحدث

عنه .. ولذلك كان رائعا أن يتحدث المفتى ورئيس الطائفة القبطية الإنجيلية معا فى كل مكان .. فى الكنائس .. والمساجد .. وكليات اللاهوت المسيحية .. والمراكز الإسلامية .. وأمام ممثلى الصحافة العالمية فى المؤتمرات الصحفية .. وكانت شخصية الاثنين مقنعة وموفقة فى عرض سماحة الإسلام ، وبراءته من الإرهاب ، والعلاقات القوية التى تربط المسيحيين والمسلمين فى مصر باعتبارهم جميعا أبناء وطن واحد ..

وكانت الرحلة مليئة بالأحداث والحوارات ..

* * *

فى المركز الإسلامى فى مدينة بتسبرج **بولاية بنسلفانيا** تجمع آلاف المسلمين لصلاة الجمعة .. جاءوا من بلاد بعيدة بعد أن عرفوا أن مفتى مصر هو الإمام فى هذه الصلاة .. وأقاموا مأدبة غداء كبيرة فى المركز .. ونظموا ندوة استمرت أكثر من ثلاث ساعات ..

قالوا إننا نحتاج إلى علماء الأزهر ولا نجدهم .. فكيف يمكننا الاحتفاظ بالرابطة مع الإسلام المعتدل دون أن يكون بيننا عدد كاف من الأئمة والوعاظ ..

وقالوا إن أطفالنا وتنشئتهم تنشئة إسلامية فى أمريكا مشكلة يجب أن تساعدونا فى حلها .. نحن لا نجد ما يساعدنا على تعليم اللغة العربية للأجيال التى تولد فى أمريكا ، ومن الممكن أن تذوب فى المجتمع الأمريكى وتفقد الجسور والصلة بوطنها الأصلى إذا لم تجد هذه الجسور منذ البداية .. لماذا لا ترسلون إلينا كتبا لتعليم الدين الإسلامى واللغة العربية ، وأفلام فيديو ، ونحن مستعدون لشرائها بالثمن ؟ ولماذا لا تتوافر لدينا مطبوعات عن مصر .. وما يحدث فيها من تقدم فى الميادين السياسية والاقتصادية ؟ وليست لدينا

معلومات تقدمها .. بل إن ما تقدمه الأجهزة المسئولة فى مصر أقل بكثير مما يجب .. وعلى سبيل المثال ، عندما نظمت جامعة بتسبرج معرضا دوليا كبيرا جاهد الطلبة المصريون الذين يدرسون فى الدراسات العليا بهذه الجامعة ، وعددهم كبير ، وأقاموا جناحا مصريا بجهودهم المحدودة .. وطلبوا من المكتب الثقافى المصرى أن يزودهم بمطبوعات عن مصر لتوزيعها على جمهور المعرض ، فأرسل المكتب إليهم ٨ كتب فقط لا غير ، على سبيل الإعارة ، وألزمهم بإعادتها .. وكان الجناح المصرى هو أفقر الأجنحة ..

وقالوا إننا نعيش فى حصار حملات الإعلام التى تظلم الإسلام وتشوه صورته .. والتليفزيون يقدم صورا غريبة عن مصر والمسلمين .. كان آخرها فيلما من إنتاج شبكة تليفزيون بى .بى .اس ، وهى الشبكة العامة التى تدعمها الحكومة وتبث إرسالها فى كل الولايات فى القناة ١٣ . الفيلم بعنوان : « الجهاد فى أمريكا .. الحرب المقدسة » ومدته ساعة كاملة .. وأعيد عرضه أكثر من مرة .. ويتضمن لقاءات مع بعض زعماء المسلمين فى أمريكا ، ولكن أحاديثهم أذيعت مبتورة .. وتم اختيار عبارات يظهر منها أنهم متطرفون ، ودعاة عنف ، وأن رسالتهم هى دعوة المسلمين لإعلان الحرب على غير المسلمين دون تفرقة .. وبغير سبب .. لمجرد أنهم ليسوا مسلمين .. وقال الفيلم : هذا هو مفهوم الجهاد .. قتل .. وتخريب .. وتدمير .. إما أن تطيع هؤلاء « المجاهدين » .. وإما أن تموت برصاصهم وقنابلهم ..

وكانت نتيجة هذا الفيلم أن عاش المسلمون فى أمريكا أياما صعبة .. بعد أن أساء إليهم وصورهم جميعا على أنهم إرهابيون .. لن يدخلوا الجنة إلا بقتل الآخرين المخالفين لهم فى الرأى أو العقيدة .. وأصبح المسلمون فى أمريكا فى موقف الاتهام .. ومازالوا يحاولون الدفاع عن النفس ..

وهذا نموذج واحد فقط .. وهناك مثله مئات ، بل آلاف ، تملأ نفوس المسلمين فى أمريكا بالمرارة ..

وقال محمد أخضر رئيس المجلس الإسلامى فى بتسبرج ، وهو مجلس يضم ممثلى ٦ مراكز إسلامية ، إن الأمة الإسلامية كانت دائما تجتمع على أصل واحد هو الحق .. فكانت أمة واحدة .. ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ .. رغم اختلاف اللغات والثقافات .. والآن لماذا ضاعت الوحدة بين المسلمين ؟ ولماذا اختلطت المفاهيم ؟ وما هى علاقة المسلم بالمسلم ؟ وما هى علاقة المسلم بغير المسلم ؟ قل لنا يا فضيلة المفتى ..

وأجابهم المفتى : إن علاقة المسلم بالمسلم يجب أن تقوم على الأخوة وليس على العداء أو الكراهية ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ .. وتقوم على التعاون ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ وتقوم على نصرة المسلم لأخيه المسلم على الحق وليس على الباطل .. وتقوم العلاقة بين المسلم والمسلم على حسن الظن : ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ .. أما علاقة المسلم بغير المسلم فقد حددها القرآن تحديدا دقيقا ، إذا مد غير المسلم يده بالسلام والأمان والتعاون ، وجب على المسلم أن يرد عليه هذه المعاملة بمثلها أو بأحسن منها .. وكل من يعاملنا – نحن المسلمين – بالسلام والتعاون ولا يسىء إلى ديننا وإلى عقيدتنا ويتبادل معنا المنافع نمد له أيدينا بالسلام والتعاون . أما الذى يعتدى على حقوقنا أو كرامتنا أو أعراضنا فإن الإسلام يدعونا إلى أن ندافع عن أنفسنا دون أن نكون نحن المعتدين ﴿وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ .. ولذلك فإن مفهوم الجهاد فى الإسلام هو الدفاع وليس العدوان ..

وسألوا : كيف تصوم رمضان فى أمريكا والبلاد الإسلامية مختلفة فى تحديد بداية ونهاية الشهر الكريم ؟ وقال لهم المفتى : صوموا وأفطروا على رؤية الهلال فى أمريكا أو فى أى بلد إسلامى ..

وسألوا : عن الدور الذى يمكن أن يقوم به المسلمون فى أمريكا وهم

كثيرون .. فقد وصل عدد المسلمين إلى أكثر من ٦ ملايين .. وهم يزدادون عددا يوما بعد يوم .. وقال لهم المفتى : دوركم أن تكونوا سندا لإخوانكم المسلمين ، وأن تكونوا نماذج حية للإسلام فى سماحته ، واعتداله ، وإيمانه بالعقل والعلم والتقدم ..

وفى نيويورك كانت الأحاديث أكثر سخونة ..

* * *

فى قاعة مواجهة لمبنى الأمم المتحدة فى نيويورك .

سأل صحفى أمريكى : إن عمر عبدالرحمن ماثل الآن أمام المحكمة .. ولكن الحقيقة أن هذه محاكمة للإسلام على أنه دين عنف وإرهاب ! ..

وقال المفتى : من قال إن هذه محاكمة للإسلام .. وهل هناك شخص مهما تكن صفته يكون ممثلا للدين كله .. **أولا** : المتهم برىء إلى أن تثبت إدانته ، هذا مبدأ تحترمه فى مصر ، ولابد أنكم تحترمونه أيضا فى أمريكا – **وثانيا** : لو أن إنسانا ارتكب جريمة فإن العدل يقتضى أن تسند الجريمة إلى الشخص بذاته كإنسان فرد مسئول ، ولا تسند إلى وطنه أو إلى ديانته ، وألا يكون ذلك تعميما ، فالتعميم فيه ظلم شديد ، ولا أظن أن معنى العدالة يمكن أن يغيب عن العقول السليمة .. **وثالثا** : إن الإسلام دين سماحة ، واعتدال ، وسلام ، وهو برىء من كل ظلم أو عدوان أو إرهاب ، وبرىء من كل من يرتكب جريمة وينسبها إليه .. الأديان كلها أرسلها الله لسعادة البشر وليس لشقائهم .. للتعمير وليس للتخريب .. للإصلاح وليس للإفساد .. وللعدل وليس للظلم .. وللخير وليس للشر ..

وسأل صحفى آخر : ما رأيك فى الشيخ عمر عبدالرحمن ؟ ..

وأجاب المفتى بكل هدوء : أنا لا أعرف تفاصيل القضية والاتهام .. وهى

قضية ينظرها القضاء الأمريكى ، وقد جرت العادة عندنا فى مصر أننا لا نتعرض بالحديث عن قضية معروضة أمام القضاء لكيلا يكون فى ذلك تدخل فى شئون القضاء ، أو محاولة للتأثير عليه ، والقضاء محل احترامنا .. نحن نحترم القضاء المصرى .. وكذلك نحترم القضاء الأمريكى ، ونثق فى عدالته ..

وسأل صحفى : هل ترى أن إلغاء الانتخابات الجزائرية كان خطأ أو صوابا ؟ ..

وأجاب المفتى : أنا رجل دين ، ولست رجل سياسة ، الانتخابات الجزائرية يسأل عنها السياسيون ، أما أنا فعندما أتكلم باسم الدين فإننى أطالب بالحرية الإنسانية ، والكرامة الإنسانية ، والعدالة الاجتماعية ، وكل نظام يؤمن بالعدل ، والحرية ، ويحارب الرذائل ، فإننى معه من منطلق موقفى كرجل دين ..

وسأل صحفى : ما هو تعريف « الجهاد فى الإسلام » ؟ ..

وأجاب المفتى : الجهاد فى الإسلام مقصود به الدفاع عن النفس ، وعن المال ، وعن العرض ، وعن الوطن ، وعن الكرامة الإنسانية بصفة عامة ، وكل من يقول إن الجهاد هو القتل ، أو السرقة ، أو الظلم ، فهو منحرف عن المفهوم الإسلامى الصحيح ، الجهاد دفاع عن النفس الإنسانية ، ودفاع عن المظلوم ، ودفاع عن الحق إذا اغتصب ، وأعطيكم أمثلة : فى البوسنة ، المسلمون يدافعون عن أنفسهم ، وهم يتعرضون لأبشع صور التعذيب والطرد من بيوتهم ووطنهم .. ودفاعهم عن أنفسهم هو « جهاد » .. والإسلام ضد الظلم ، وضد الاستغلال ، سواء صدر عن الحاكم أو عن المحكوم .. وسواء صدر من دولة صغيرة أو من دولة كبيرة .. ونحن كرجال دين يحتم علينا ديننا أن نقف إلى جانب المظلوم حتى ينتصر الحق ، وأن نقف فى وجه الظلم حتى يندحر .. هذا هو فهمنا للأمور ..

وسأل صحفي : هل عمليات القتل التى تحدث فى مصر تعتبر جهادا ؟ وهل ما يفعله الفلسطينيون فى القدس جهاد ؟ ..

وأجاب المفتى : نحن فى مصر ندعو إلى الشريعة بالكلمة والموعظة الحسنة كما أمرنا ربنا ، وشهادة أمام الله أقول لك إن مصر لم تشهد حرية كما تشهد الآن ، ونحن مع هذه الحرية ، ونطالب بالمزيد من الحرية ، ولكننا ضد من يقتل .. ومن يسرق .. ومن يفسد فى الأرض باسم الشريعة .. وشريعة الإسلام بريئة من العدوان . وكل سائح يأتى إلينا هو ضيف فى بلادنا .. تأمرنا شريعة الإسلام أن نوفر له الحماية ونرعاه إلى أن يعود إلى بلاده سالما .. نحن نطالب بالتغيير بالحوار وليس بالقتل .. وفى مصر مجلس الشعب فيه معارضة قوية .. ومجلس الشورى يمثل الحكمة والخبرة .. والصحافة حرة تعارض وتنتقد .. وحرية الرأى مكفولة .. أما حرية القتل فهى خروج على الإسلام .. وعلى كل الأديان .. أما الفلسطينيون فلهم شأن آخر .. كل من يدافع عن حقه أمام الظلم ، وكل من يدافع عن أرضه ، وماله ، وعرضه ، ويواجه العدوان الواقع عليه .. فله الحق فى أن يستعمل كل الوسائل المشروعة .. وليس هناك دين من الأديان يدعو أصحابه إلى السكوت عن الظلم إذا كانت أرضه وحقوقه مغتصبة .. وكل الأديان تدعو إلى نصرة المظلوم ضد الظالم ..

وسأل صحفي : وما موقفكم من فتوى الخمينى بقتل سلمان رشدى فى جريمة رأى ؟ ..

وأجاب المفتى : **أولا** : أنا كمفتى مصر .. أنا ضد الدعوة إلى قتل إنسان .. **وثانيا** : أنا قرأت ترجمة لرواية سلمان رشدى ولم أجد فيها رأيا ، ولكنى وجدت فيها مجموعة أكاذيب ينسبها إلى رسولنا وزوجاته وصحابته .. وهذه الوقائع التى ينسبها إليهم من أين جاء بها ؟ أنا أستاذ فى جامعة الأزهر عشرين عاما قبل أن أتولى الإفتاء .. وتعودت حين أناقش رسالة

أن أسأل الطالب : من أين أتيت بهذه المعلومات ؟ فإذا لم يستطع توثيق مصادر معلوماته اعتبرته كاذبا وغشاشا ..

ولذلك فأنا أطالب بتشكيل لجنة ثلاثية : من أحد علماء الدين اليهودى .. وأحد علماء الدين المسيحى .. وأحد علماء الدين الإسلامى .. وتتولى الدولة التى يقيم فيها سلمان رشدى تنظيم حوار معه ، وتسأله اللجنة : من أين أتيت بالمعلومات والوقائع التى تنسبها إلى الرسول ﷺ ؟ أنت تنسب إلى محمد ﷺ أنه كاذب .. وقاتل .. وخائن .. وقلت إن بعض الصحابة ارتكبوا جرائم .. ووصفت بعض زوجات الرسول بالخيانة .. قل : من أين أتيت بهذا الكلام ؟ من أى مصدر ؟ من أى مرجع ؟ من أى كتاب فى أى لغة ؟ ولابد أن تتولى هذه اللجنة إعلان الحقيقة : وهى أن سلمان رشدى كذاب .. وغشاش .. ودجال .. وهو رجل لا يبحث إلا عن المال .. ولذلك باع نفسه من أجل المال .. وأساء إلى الأديان كلها ، وجميع القوانين فى كل الدول تعاقب من يتهم غيره كذبا .. جريمة القذف موجودة فى كل القوانين .. بعد هذه المناقشة يكفينا ما يحكمون به ..

وسأل صحفى : ما هى حقيقة التوتر فى العلاقة بين المسلمين والمسيحيين فى مصر ؟ ..

وأجاب المفتى : إن وجودى إلى جانب صديقى الدكتور صموئيل حبيب هو الإجابة عن هذا السؤال ، وإذا وجدت بعض الأحداث ، وأنا لا أنكرها فهى حوادث فردية ، موجودة فى كل دولة ، والكنائس والمساجد فى مصر لهما نفس التقدير باعتبارهما بيوتا يذكر فيها اسم الله ..

وقال الدكتور صموئيل حبيب : إن المسلمين والمسيحيين فى مصر يعيشون معا .. فى البيت الواحد تعيش الأسر المسلمة ملاصقة للأسر المسيحية .. ويشتركون فى التجارة والعمل .. بلا تفرقة من أى نوع .. وفى

رمضان يحتفل المسلمون والمسيحيون معا بهذه المناسبة الدينية الإسلامية التى أصبحت مناسبة قومية .. والهيئة الإنجيلية عقدت دورات حضرها أئمة المساجد المسلمون مع القسس المسئولين عن الكنائس ، وبحثوا معا وضع قواعد لخدمة المجتمع وتحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية .. ومحاربة العادات الضارة بالصحة والعادات الاجتماعية الخاطئة .. وهكذا نحن نعيش معا ، ونعمل معا ..

* * *

وفى نيويورك أيضا عقدت ندوة مهمة .. دعا إليها المجلس القومى للكنائس ، وحضرها مجموعة مختارة من قادة مختلف الكنائس الأمريكية . وقال السكرتير العام لمجلس الكنائس القس جوان براون كامبل : إننا نعتبر هذا اللقاء لقاء تاريخيا .. لأن هذه هى المرة الأولى التى نستقبل فيها مسلمين ونستمع إليهم ، ونحن نريد أن نجرى حوارا بين المسيحية والإسلام لكى يتعرف بعضنا على بعض ، ونبحث عن نقط الالتقاء التى يمكن التعاون فيها لتحقيق مصلحة البشرية ..

وقال المفتى : إن قادة المسلمين والمسيحيين يجب أن يتعاونوا على تحقيق السلام .. والعدل .. والتعاون .. نحن نعرف أن النفس الإنسانية فيها الأنانية ، والظلم . والأديان هى التى تحمى البشرية من هذه الغرائز والرذائل .. ولذلك فإن احتياج الإنسان إلى الدين أكثر من احتياجه إلى الطعام . وإذا فهم الناس الدين فهما صحيحا ، وإذا طبق المؤمنون بالأديان تعاليم أديانهم تطبيقا دقيقا على أنفسهم .. فسيكون ذلك هو عصر العدل والسلام بين البشر ..

وقال : إن الأديان جميعا ، والإسلام على رأسها ، تعلم الإنسان ما يجب عليه نحو خالقه : أن يعبده بإخلاص . وواجبه نحو وطنه : أن يعمل على تعميره

وليس تخريبه .. وواجبه نحو غيره ممن على ديانته أو يخالفونه فى العقيدة : أن يحب لغيره ما يحب لنفسه ، وأن يكره لغيره ما يكره لنفسه . وواجب المؤمن نحو من يخالفه فى العقيدة أن يحسن الظن به ، وأن يعامله معاملة كريمة ، وأن يتعاون معه على ما فيه الفائدة والخير للناس وللوطن .. والأساس فى الإسلام أن العلاقات مع سائر البشر إنما تقوم على احترام حقوقهم الإنسانية ، وعلى تبادل المنافع معهم .. أما العقائد .. فلكل إنسان عقيدته .. والذى يتولى حساب الناس على عقائدهم هو الله وحده .. واختلاف الأديان ليس معناه اختلاف أو صراع أصحاب الديانات .. ولكن معناه أن يتعارفوا ، ويتعاونوا .. ﴿وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾ . ونحن جميعا نؤمن بوجوب اعتناق الفضائل ، واجتناب الرذائل .. ونؤمن جميعا بالحق والعدل والأخوة الإنسانية مهما اختلفت دياناتنا .. وشريعة الإسلام شريعة العدل والتسامح والسلام .. وهى بريئة من كل من يرتكب جريمة وينسبها إلى الإسلام .. ولذلك فنحن نستنكر ما نراه من بعض وسائل الإعلام حين تنسب مرتكب جريمة إلى ديانته .. لأنه لا علاقة بين الجريمة والدين .. يجب أن تنسب الجريمة إلى شخص مرتكبها وحده .. ولا تنسب إلى دين من الأديان ، لأن الأديان لا تأمر بالتخريب ، أو القتل ، أو العدوان ، ولكن تأمر بأن يستمع كل إنسان إلى الآخر ، ويتبادل معه المنافع ، إن الكراهية التى يعلنها البعض ليست من الأديان .. وأنا أقول لكم بصراحة ، إن الخطأ فى الأحكام على دين من الأديان سببه أن كثيرا من الناس لا يأخذون المعلومات عن هذا الدين من مصادرها الصحيحة .. فلكى أعرف حقيقة المسيحية لابد أن أسأل رجال الدين المسيحيين ، وأقرأ كتبهم الأصلية المعتمدة .. ومن الخطأ أن أكون أفكارى عن المسيحية من أفعال بعض المسيحيين .. أو من بعض أفكار متطرفين من المسيحيين .. كذلك فإن معرفة الإسلام يجب أن تكون من مصادر

إسلامية صحيحة .. وما أكثر الذين يتسترون بالأديان وأفعالهم تتعارض مع حقيقتها ..

ونحن فى مصر -- مسلمين ومسيحيين - نعيش معا على أرض واحدة ، ولنا مصالح واحدة ، ونعرف أن من الخير لنا أن نتعاون وألا نتفرق ، أما الأحداث التى تسمعون عنها فى مصر فهى أحداث فردية ، لا قيمة لها ، ولا تأثير ، وهى تحدث فى كل بلد ، أما الأغلبية من المسلمين والمسيحيين فى مصر على اختلاف مذاهبهم فهم أسرة واحدة وأبناء وطن واحد ..

وسأل أحد قادة الكنائس : هل يمكن إصلاح هؤلاء الضالين الذين يرتكبون الجرائم باسم الإسلام ، أو أنهم انفصلوا عن المجتمع وأصبحوا شاردين ؟ ..

وأجاب المفتى : إن كل إنسان مسئول وحده أمام الله وأمام القانون عن كل كلمة ينطق بها ، وكل فعل يقوم به ، والناس يختلفون فى مداركهم وفى تصرفاتهم ، وهذا أمر يحدث منذ بدء الخليقة ، والكتب السماوية تحدثنا عن الفترة التى شهدت بدء الخليقة وكانت فيها البشرية مكونة من أسرة صغيرة : أب ، وأم ، وولدين اثنين فقط ، فقتل أحدهما الآخر ، فليس غريبا إذن أن نجد من يتحدثون عن الإسلام بما يخالف حقيقة الإسلام ، ويفعلون أفعالا تحاربها الأديان جميعا .. لأن الإرهاب والتخريب والقتل والظلم حرام فى كل الأديان .. والتعصب مكروه فى كل الأديان .. وهذا لا يمنع من أن واجب كل دولة أن تحاسب من يرتكب جريمة باسم الدين أو بغيره .. ولكن يجب أن نراعى ألا تنسب جريمة يرتكبها شخص إلى شخص آخر .. وألا تنسب جريمة يرتكبها إنسان إلى دين معين ..

وواجبنا أن نبصر أطفالنا وشبابنا بهذه الحقائق ، وأن نكرر رجاءنا إلى

وسائل الإعلام بأن تنسب الجرائم إلى من يرتكبها كشخص وليس إلى دين من الأديان ..

وسأل أحد قادة الكنائس : نسمع عن خطبة الجمعة فى بعض المساجد فى مصر وما فيها من تحريض على الجريمة .. من يختار خطباء الجمعة ؟ وهل هناك رقابة عليهم أو أن منابر المساجد متروكة لمن يريد ؟ ..

وأجاب المفتى : الأزهر يقوم بدوره ، ووزارة الأوقاف تشرف على أكثر المساجد ، وهناك توجيه وإرشاد لكل من يتصدى للخطابة فى المساجد بأن يكون مهذبا فى ألفاظه ، ووظيفة رجال الدين – مسلمين ومسيحيين – أن يكونوا قادة لغيرهم ، وإذا استمر خطيب مسلم أو غير مسلم فى الإساءة إلى عقيدة غيره يجب أن يحاسب على خطئه ..

وأجاب الدكتور صموئيل حبيب عن هذا السؤال أيضا : فقال : إن هناك سوء فهم للإسلام والمسلمين ، إن حوادث القتل ينسبها الإعلام إلى الإسلام ، وعندما أفتى الخمينى بقتل سلمان رشدى تحدث الإعلام الغربى على أن هذا هو موقف الإسلام كله ، ولكن هناك قادة إسلاميين أفتوا بعدم قتل إنسان عقابا على ما يقوله ، ولكن الإعلام لم ينشر آراء هؤلاء القادة ، وركز على فتوى الخمينى وحده .. وعندما يقول جميع شيوخ المسلمين إن الإسلام برىء من القتل والإرهاب لا تنشر وسائل الإعلام هذا ، ولكنها تنشر أقوال المتطرفين الذين يقولون إن القتل هو أمر من الله فى الإسلام .. الإعلام عادة لا ينشر إلا ما هو غريب وشاذ وغير متوقع .. لكن الأمور العادية لا تنشر .. الأمور العادية عندنا أن الإسلام ليس دينا للقتل أو التخريب ، ويجب أن يكون لهذا المفهوم فرصة للنشر والإعلام .. هناك مفاهيم عظيمة فى الإسلام لا تجد طريقها إلى النشر .. ولابد أن ندفع علاقات التفاهم بين الإسلام والمسيحية ..

وقال القسيس خورى اللبنانى الأصل : الجميع يعرفون أن الإعلام الأمريكى ليس منصفا للإسلام والمسلمين ..

وكان هذا حسن الختام ..

* * *

وفى واشنطن العاصمة كانت المناقشات أكثر سخونة ..

فى حوار مع المفتى أجرته شبكة يو . بى . اى . الإذاعية ، وهى شبكة عامة ، **سأل المذيع** :

– هناك خوف عام من أن الإرهاب فى مصر ربما يؤدى إلى أن تصبح مصر جزائر أخرى ..

وقال المفتى : لقد قلت كثيرا خلال لقاءاتى هنا إن مصر تختلف عن الجزائر فى تكوينها الجغرافى والتاريخى والسياسى والاجتماعى والاقتصادى .. الجزائر لها ظروف .. مصر مختلفة .. الدولة فيها قديمة وقوية ومستقرة .. والتجانس بين المصريين قديم .. والإرهاب أقلية .. والشعب المصرى لا يتعاطف معه ولكن يرفضه .. الإرهابيون مجموعة صغيرة ليس لها قوة .. وليس لها مستقبل .. والأغلبية فى مصر ضد أعمال القتل والتخريب لأنها ضد طبيعة الإسلام ..

وسأل المذيع : ماذا يمكن أن يتعلم العالم الإسلامى من مصر ؟ ..

وأجاب المفتى : أرجو أن يتعلم العالم الإسلامى من مصر روح الأخوة الإنسانية التى تربط بين المسلمين والمسيحيين .. وأن يتعلم أن روح الأديان ترفض العدوان بكل صوره .. وأخيرا أن يتعلم أن الاختلاف مواقف الناس لا يمنعهم من أن يتعاونوا من أجل مصلحة بلدهم .. وأن التعصب هو نوع من عمى البصيرة يصيب البعض ويهدد المجتمع ومستقبله ..

وأجاب الدكتور صموئيل حبيب : إن بعض ما ينقله الإعلام الأمريكى عن مصر غير صحيح .. نحن مع بداية قرن جديد نستعد لبناء بلدنا بناء جديدا ، ونعمل معا بالمحبة ، ولا نريد أن يكون اختلاف الأديان وسيلة للانقسام وهدم المجتمع .. ونحن نعرف من خلال حياتنا فى مصر مع المسلمين أن الإسلام ليس دين الإرهاب أو الكراهية للآخرين .. بل إنه على العكس من ذلك .. دين يدعو إلى السلام بين البشر .. ويدعو للتسامح مع المختلفين معه فى العقيدة ..

وسأل المذيع المفتى : ما هو موقفكم من قضية البوسنة ؟ ..

وأجاب المفتى : إن مفهوم المواطن المصرى أن هناك ظلما واضحا يقع على المسلمين ، وأن الصرب يعاملون المسلمين معاملة سيئة .. يعتدون عليهم بالقتل .. وبانتهاك أعراضهم .. وبطردهم من بيوتهم .. هذا سلوك لا يوافق عليه دين من الأديان .. ولا يمكن أن نقول إن هؤلاء يفعلون ذلك من منطلق ديانتهم المسيحية .. لأن هذه الأعمال لا توافق عليها أية ديانة ، ولا يقرها أى قانون ، ولا ترضاها الطبيعة الإنسانية السوية ..

وسأل المذيع : أنتم تقولون إن الإسلام دين السلام ..

وقال المفتى : نعم .. الإسلام دين السلام .. ونحن دائما نطالب بالسلام .. ولكن أى سلام ؟ هل السلام الذى يقوم على الظلم واغتصاب الحقوق يعتبر سلاما ، أو أن السلام هو الذى يحقق العدل ، ويحمى الكرامة الإنسانية ؟ نحن نطلب السلام العادل لأبناء البوسنة ، ولأبناء فلسطين ، وكل البشر ..

وقال الدكتور صموئيل حبيب : إن بعض المسلمين من البوسنة جاءوا إلى مصر والتقينا بهم فى مؤتمر بالاسكندرية ، ولمسنا أنهم يرون أن ما حدث للمسلمين فى الأندلس يتكرر فى البوسنة وفى شوشان ، حيث يتم استئصال الإسلام والمسلمين وتدمير وجودهم .. ونحن نفهم أن هناك مشكلة سياسية

قومية فى يوغسلافيا القديمة وروسيا القديمة ، ولكن يجب ألا يكون المسلمون هم الضحية ..

وسأل المذيع الدكتور صموئيل حبيب : هل أنت متفائل أن السلام سيتحقق فى الشرق الأوسط وأن الإرهاب سيزول ؟ ..

وأجاب : نعم .. أنا متفائل .. السلام سوف يأتى ويسود المنطقة .. ومفهوم السلام هو العدل لكى يدوم .. ورحلتنا هذه هى من أجل السلام ..

وكانت فى واشنطن مواقف أكثر إثارة ..

فى لقاء مع القناة العامة وهى شبكة تليفزيونية تغطى كل الولايات المتحدة .. **سأل المذيع** :

– ساد اعتقاد بعد انهيار الشيوعية أن الإسلام أصبح هو العدو للغرب .. ما رأى المفتى ؟ ..

وأجاب المفتى : أعتقد أن هذا زعم فاسد وباطل .. لأن الشيوعية كانت ضد كل دين سماوى ، أما الإسلام فهو دين يحترم الأديان السابقة عليه ، ويمد يده لسائر الأديان بالإخاء والسلام ، ومن المستحيل أن يكون هناك صراع بين العقائد السماوية ، والأقرب إلى المنطق أن يتقارب أصحاب الديانات المختلفة ويتعاونوا بعد انهيار الفلسفة الملحدة ..

والقول بأن الإسلام يمكن أن يكون عدوا لأمريكا ، أو للغرب ، شيء غريب ، لأن الأديان جاءت للتعاون بين البشر ، والمسلمون يأمرهم ربهم بأن يجنحوا للسلم لكل من يسالمهم .. وبالمحبة لسائر البشر .. فمن أين يأتى العداء ؟ ليس من الإسلام .. ولكن من الظلم الذى يرتكبه البشر ضد غيرهم ..

* * *

وفى مجلس الأساقفة الكاثوليك فى واشنطن التقينا بمجموعة من أساتذة اللاهوت اليهودى والمسيحى ، وشاركنا فى هذا اللقاء السيد حبيب أشرف عضو مجلس المديرين فى مجلس المسلمين الأمريكيين بواشنطن ، ومحمد إسلام شيما رئيس هذا المجلس ، والإمام كاشف عضو مجلس الأئمة فى منطقة متروبوليتان بواشنطن .

obeikandl.com

فى باكستان

الحوار إسلامى - إسلامى

كانت زيارة الإمام الأكبر لباكستان هى أول زيارة له للخارج منذ تولى منصبه .. لذلك كان الجميع يتابعون كل كلمة ينطق بها ، ويتناولونها بالتحليل .. وكانت هذه الزيارة موضع اهتمام عالمى ملحوظ انعكس فيما نقلته وكالات الأنباء والصحف الكبرى ..

وباكستان هى ثالثة دولة إسلامية من حيث حجم السكان بعد أندونيسيا وبنجلاديش ، ولذلك فإن وزنها كبير .. والخلافات المذهبية والطائفية والسياسية كثيرة تجعل كل تحرك وكل حديث موضع تفسير ..

وفى باكستان عاطفة دينية كبيرة .. وفيها من يفهم الإسلام على حقيقته وهم كثرة ، كما أن فيها من ينقصه الوعى الدينى والفهم الصحيح لتعاليم الإسلام ، وهم قلة ، ولكنهم متطرفون فى أفكارهم ، وتفسيراتهم جامدة ، وهم يثيرون معارك حول قضايا فرعية مما فرغ منه الفقهاء منذ قرون ، مثل : هل للفتاة البالغة الحق فى أن تزوج نفسها دون موافقة ولى أمرها أو أن هذا الزواج باطل شرعا .. ؟ ومثل : هل التعليم من حق المرأة أو هو خروج على تعاليم شريعة الإسلام .. ؟ وهل يجوز للمرأة الخروج للعمل أو أن هذا كفر وخروج عن الشريعة ؟ مع أن رئيسة وزراء باكستان سيدة ، وهناك سيدات كثيرات فى المجتمع الباكستانى لهن دور ملحوظ ولكن المتطرفين يريدون أن يشعلوا نار الفتنة بأى طريق .. بل وصل بهم الأمر إلى إثارة جدل . هو : هل

من حق المسيحيين أن تكون لهم معاملة على أساس المساواة فى دار الإسلام .. ؟

قضايا غريبة لم يكن يخطر على البال أن تكون هى الشغل الشاغل لهذه الجماعات التى ترفع راية الإسلام وتدعى أنها حامية حمى الشريعة والمدافعة عن حصون الدين ..

وباكستان هى حلقة الاتصال مع إيران وأفغانستان .. ولذلك تتصارع فيها السياسات والعقائد الدينية بين السنة والشيعة ، إلى حد تبادل القتل ، وسقوط ضحايا من الجانبين حتى أثناء الصلاة داخل المساجد .. !

لذلك فإن وجود الإمام الأكبر الذى يرأس الأزهر كان مهما .. لأن الأزهر – فى نظر الجميع – هو المؤسسة التى تحظى باحترام وقبول الجميع ، وهو صاحب الكلمة الصائبة فى أمور الإسلام .. وهو الديدبان الحارس للشريعة الإسلامية لحمايتها من كل انحراف ..

وموقف باكستان وشعبها من قضية فلسطين عامة ، والقدس خاصة ، موقف قوى جدا ، والرأى العام الباكستانى يتابع كل كلمة يقولها شيخ الأزهر عن فلسطين والقدس وتدوى كل كلمة يقولها فى كل أنحاء البلاد ..

وفى باكستان تشعر بلهب النار المشتعلة فى أفغانستان بين الفصائل الإسلامية المتقاتلة وكل منها يرفع راية الإسلام ويعلن أن هدفه تطبيق الشريعة .. والنتيجة سقوط مليون قتيل مسلم بأيدى المسلمين .. والقاتل والمقتول يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله .. القاتل يقتل وهو يظن أنه يجاهد فى سبيل الله وله الجنة .. والمقتول يضحى بدمه وهو يظن أنه شهيد له أعلى مقام عند الله لأنه ضحى بنفسه من أجل العقيدة ..

وفى الحقيقة فإن الجميع واقعون فى مصيدة وخديعة كبرى .. فلا هذا جهاد .. ولا هذا استشهاد .. ولا هذا دفاع عن الشريعة .. وكلهم ضحايا

أصحاب المصالح الذين يستغلون سذاجة وعدم وعى العوام .. ويقبضون هم الثمن .. ذهبا ودولارات بالملايين .. !

لأن هناك من يريد أن تبقى أفغانستان منقسمة وممزقة وساحة مفتوحة أمام كل القوى والمصالح والأطماع ..

ووجد شيخ الأزهر نفسه مدفوعا إلى أن يصدر بيانا يناشد فيه الأطراف المتصارعة فى أفغانستان إلى العودة إلى الرشد وحقن الدماء والتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان .. ويذكرهم بأن المؤمنين إخوة .. وأن الرسول برئ من كل مسلم يرفع السلاح فى وجه أخيه .. ويذكرهم بأمر الله ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ﴾ .. ونقلت البيان وكالات الأنباء .. وتوافدت الوفود من أفغانستان إلى شيخ الأزهر ليستمعوا إليه ويبينوا له ما يدور فى بلادهم .. وكان ضروريا أن يقول لهم شيخ الإسلام إن الإسلام يقوم على الحوار والبعد عن الاقتتال وإراقة الدماء ، واحترام حقوق الإنسان وكرامته ، وخاصة النساء ، وكان ضروريا أن يحدثهم عن اهتمام الإسلام بالتعليم ليتقدم المسلمون .. والتعليم حق للرجل والمرأة على السواء دون تفرقة ..

* * *

فى اليوم الأول وصل فضيلة الشيخ إلى مطار كراتشى وكان فى استقباله حاكم إقليم السند وسفير مصر الدكتور محمد نعمان جلال ، اجتمع بعد ذلك مع مبعوثى الأزهر وتحدث إليهم طويلا عن واجبهم ورسالتهم وفى هذا اليوم زار الإمام الأكبر ضريح القائد الأعظم محمد على جناح مؤسس دولة باكستان ، وبعدها زار رابطة المؤتمر الإسلامى حيث لقى حشدا من العلماء والمفكرين وأساتذة الجامعات فى استقباله ، وعلى رأسهم السناتور رجا ظفر الحق رئيس الرابطة .

قال رئيس الرابطة فى كلمته : إن الأزهر هو أكبر مؤسسة إسلامية فى العالم ، وهو المنارة والمرجع لنا جميعا ، والحقيقة أن مصر هبة نهرين وليس نهرا واحدا .. مصر هبة النيل الذى يروى أرضها ويملؤها بالخير .. والنهر الآخر نهر روحى يفيض كل يوم – هو الأزهر الشريف – الذى لا يروى مصر وحدها ، ولكنه يروى العالم الإسلامى من أوله إلى آخره ويملؤه بالنور والعلم والإيمان .. وكما كانت مصر دائما مركز الإشعاع لتحرير الشعوب ومساندة الحريات وقيادة اليقظة العقلية .. فإن الأزهر ظل على امتداد تاريخه الحارس الأمين للإسلام الصحيح .. ولا يزال كذلك إلى اليوم .. والإسلام هو أكثر الأديان انتشارا فى هذه المرحلة بعد أن تكشف للعالم أنه الدين الذى يقدم إجابات مقنعة للأسئلة الصعبة التى يطرحها هذا العصر .. وأنه الدين الذى يلبى احتياجات التطور البشرى ولا يتعارض مع العقل أو العلم أو الحياة .. ولذلك يواجه الإسلام حركة عداء ممن يرون أنه يمثل خصما خطيرا عليهم ، وهذا هو السبب فيما وصفوه من وجود الاضطرابات والتوتر فى العالم الإسلامى بالذات أكثر من غيره .

وقال رئيس الرابطة أيضا : إن الأمم المتحدة أكملت ٥٠ عاما من عمرها ، ويتحدثون عن ضرورة إعادة تنظيمها ، بينما يبلغ عدد الدول الإسلامية ٥٦ دولة ، تضم ربع سكان العالم ، وليس لهم تمثيل فى مجلس الأمن ، ولابد أن تتكتل الدول الإسلامية لكى يكون لها مقعد دائم فى مجلس الأمن .. ونحتاج فى ذلك إلى مساندة الأزهر ..

نحتاج أيضا إلى الأزهر لنشر اللغة العربية ، وباكستان التى تتكلم باللغة الأردية ، والإنجليزية ، تهدف التوسع فى تعليم اللغة العربية وتحتاج فى ذلك إلى مساعدات كبيرة .. نحتاج إلى الأزهر أيضا لنشر التربية الإسلامية الصحيحة .. والرد على المتطرفين .. وفى تدريب الدعاة فى باكستان ..

كان رئيس رابطة العالم الإسلامى يتحدث بحماس شديد عن الأزهر ، وهو شخصية معروفة وله تاريخ طويل فى العمل العام ، وكان لفترة طويلة سفيرا لبلاده فى القاهرة .. وكان لكل كلمة يقولها عن الأزهر صدى فى الحشد الكبير الذى ملأ الساحة ..

وقام الجميع لأداء صلاة المغرب .. ووقفوا خلف شيخ الأزهر إماما .. وقالوا : هذا يوم مبارك سنظل نذكره .

وقال لهم فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر : إن التعاون بين المسلمين هو أساس قوتهم ، وإذا لم يتعاون المسلمون فإنهم يكونون قد خالفوا أمر الله الذى قال لهم فيه بكل وضوح : ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ . وقال لهم : إن الفضائل يغذى بعضها بعضا .. فالصدق والأمانة والإخلاص والإيثار كلها معا مثل الأوانى المستطرقة .. الفضيلة الواحدة منها تقود إلى الأخرى وهكذا .. والإيمان الصادق يدفع المؤمن إلى محبة المؤمنين .. فكيف إذن يحدث خلاف وقتال بين المؤمنين .. إذا كانوا مؤمنين .. وصادقين فى إيمانهم .. ؟ ولذلك فإن بناء الأمة الإسلامية يبدأ بإعداد الشخصية والأخلاق ، وبعد ذلك فكل الفضائل يسهل الوصول إليها .. التفاهم .. والتعاون .. والإخلاص فى العمل ..

وقال الإمام الأكبر للحشد الكبير : إن مصر الإسلامية التى اعتنقت الإسلام منذ ١٤ قرنا ودافعت عنه وعن نقائه ، واستقر الإسلام الصحيح فى ضمائر ووجدان أبنائها .. مصر قاعدة الإسلام وحصنه .. تمد يدها بالتعاون لكل المسلمين فى كل أنحاء العالم .. والأزهر الشريف ظل منذ أكثر من ألف عام وحتى اليوم فى خدمة الاعتدال والاستقامة فى مفهوم الإسلام .. والإسلام ينتشر لأنه دين السماحة وليس دين التعصب .. دين المحبة وليس دين الكراهية .. والمحبة فيه تسع كل البشر .. المسلمين وغير المسلمين .. والإسلام

يجعل لغير المسلم حقوقا تتساوى مع حقوق المسلم ، والرسول صريح فى أمره : « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » .. والإسلام يصل إلى قلوب الناس لأنه لا يعرف وسيلة للتعامل بين الناس إلا بالدعوة والموعظة الحسنة والجدل الهادئ القائم على المنطق وعلى أساس أنه لا إكراه فى الدين ..

وقال الإمام الأكبر أيضا : إن الإسلام يقوم على العلم ، ومادة « علم » تكررت فى القرآن أكثر من ٣٠٠ مرة .. ومبدأ المسلم فى الحياة ما قاله الله سبحانه وتعالى : ﴿وقل رب زدنى علما﴾ ولم يقل رب زدنى مالا .. أو زدنى قوة أو سلاحا .. لأن العلم هو التقدم الإنسانى والحضارة القائمة على أساس سليم .. ولا يفرق الإسلام فى الحق فى العلم بين رجل وامرأة ، ولذلك يقول تعالى : ﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة﴾ والقرآن يسوى بين الرجال والنساء مساواة تامة فى عشر صفات دون تفرقة فى سورة الأحزاب .. فلماذا تظهر دعوات باسم الإسلام تنادى بحرمان المرأة من حق أعطاه الله لها .. ؟

وقال لهم الإمام الأكبر : إن الأزهر ينظم دورات لإعداد الدعاة من كل العالم الإسلامى ، يشترك فى كل دورة ٦٠ دارسا لمدة ٤ شهور ، وهو يرحب بأبناء باكستان ..

وعاد يكرر حديثه عن وحدة المسلمين مستشهدا بقول الله : ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ .. و ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة﴾ ..

فلماذا العداوة والاقتتال بين المسلمين مادامت كلمة الله لهم أن يتعاونوا ويتوحدوا ويتخلصوا من العداوة والأنانية .. ؟

واستمر الحوار طويلا .. مع صيحات : الله أكبر .. !

وفى المساء أقام حاكم إقليم السند حفل عشاء كبيرا ألقى حاكم السند كلمة قال فيها : إن أبصار أبناء باكستان تتجه دائما إلى الأزهر لتأخذ منه ،

وإلى فضيلة شيخ الأزهر لتستمع إلى كلمته باعتباره رمزا يحتل أعلى مكانة فى العالم الإسلامى ، وهو خط الدفاع الأول عن الإسلام ضد الإرهاب والتطرف ومحاولات تشويه الشريعة الإسلامية ..

ورد عليه فضيلة الإمام الأكبر بحديث طويل عن حقائق الإسلام الثابتة ، وهى أنه دين الأخوة بين المسلمين والأخوة بين البشر .. ودين العقل .. وحرية الإنسان .. والكرامة الإنسانية .. والعلم .. والتقدم .. وهو لا يرفض التطور بل يدفع أبناءه إلى مسايرة التطور والإسهام فى التقدم العلمى والحضارى الحديث لتكون لهم الصدارة فى عالم يتسابق على امتلاك عناصر القوة .. ولابد أن تكون فى أيدى المسلمين كل أسباب القوة المادية والروحية والأخلاقية ..

ودار الحوار حول مكانة المرأة فى الإسلام ..

وقال حاكم السند للإمام الأكبر وهو يودعه : ليتكم تبقون معنا ليستمع منكم كل واحد من أبناء باكستان ، ويتعلم الدين الصحيح .. إن العرض الذى قدمتموه للإسلام يجعل أى عقل فى أى مكان فى العالم يدرك أن هذا الدين هو طوق النجاة للبشرية لينقذها من الجهل والتخلف والحروب والفقر والظلم ..

وكان هناك عشرات ينتظرون الإمام الأكبر فى الفندق ليصافحوه .. ويسألوه .. ويلتقطوا معه صورا قالوا : إنها ستكون أغلى ما لديهم ..

* * *

فى اليوم الثانى : بدأ الإمام الأكبر يومه فى الصباح المبكر بلقاء تجمع فيه كل العلماء والمشايخ فى كراتشى ، وبدأه الشيخ احترام الحق التهانوى مستشار رئيس وزراء السند للشئون الدينية بكلمة طويلة قال فيها : « يا مرحبا بمن وصل .. على الرؤوس وفى المقل .. قلوبنا هى المحل .. وهى فسيح

المقعد .. » يا صاحب الفضيلة ، إن مجالات التعاون بين مصر وباكستان فى شتى المجالات عريقة ، وللأزهر الشريف دوره البارز ، فهو الذى خرّج رجالا ، وربى أجيالا ، كانت المعرفة رأس مالهم ، والحب أساس معاملتهم ، وذكر الله أنيسهم ، فالأزهر الشريف امتداد لمدرسة محمد ﷺ .. ولقد انطلق علماء الأزهر كالنور الذى يسرى ويبدد الظلام ، فى جميع دول العالم الإسلامى ، ينشرون العلم والمعرفة ، وما من بلد إسلامى إلا ويعرف للأزهر فضله .. وإننا نناشدكم باسم الإسلام والمسلمين أن تعيدوا للأزهر مجده ورسالته فى نشر العلم وتوحيد الأمة الإسلامية .

يا صاحب الفضيلة : إن أعداء الإسلام يوحدون صفوفهم ضد الإسلام ، والإسلام أولى بوحدة الصف .. اسمحوا لى يا سماحة الشيخ بأن أقول بكل صراحة هنا بأن العالم الإسلامى واجه الشقاق بسبب المؤامرات من الأعداء .. فقد زرعوا فى صفوفنا الخلاف ، ونحن نقدر جهود مصر والأزهر ، كما أننا نتمنى بأن توحد الأمة الإسلامية صفوفها ..

وكان الشيخ احترام الحق .. وهو شيخ جليل تجاوز السبعين .. يبكى بكاء حارا وهو يتحدث عن خلافات المسلمين ومؤامرات أعداء الإسلام على وحدة العالم الإسلامى ..

ووقف الإمام الأكبر ليتحدث إلى جمع العلماء والمشايخ ..

قال : إن المجالس تشرف بمقاصدها وغاياتها .. ومجالس العلماء هى أشرف المجالس .. وقد ميز الله آدم بالعلم .. وأمر الله المؤمنين بالعلم وكانت أول آية ﴿اقرأ﴾ .. والله تعالى جعل الخوف منه مقصورا على العلماء ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ .. والعلم ليس للعلماء وحدهم ولكن يجب عليهم أن ينشروه بين الجميع لا فرق بين غنى وفقير .. بين حاكم ومحكوم .. بين رجل وامرأة ،والرسول يأمرنا : « طلب العلم فريضة على كل

مسلم ومسلمة » .. وكان الرسول يعلم الرجال ويعلم النساء دون تفرقة ، والقرآن ساوى بين الرجال والنساء فى التكاليف الشرعية .. لا تفرقة بين الرجل والمرأة فى الصلاة أو الزكاة أو الصوم أو الحج ..

ولخص الإمام الأكبر خصائص شريعة الإسلام فى مبادئ رئيسية :

● ديانة الإسلام تقوم فى أساسها على التيسير وليس على التعقيد .. ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ .. ﴿يريد الله أن يخفف عنكم﴾ .. ﴿وما جعل عليكم فى الدين من حرج﴾ وفى الحديث : « يسروا ولا تعسروا .. وبشروا .. ولا تنفروا » .

● وفى ديانة الإسلام المسلمون جميعا أمة واحدة .. تربطهم رابطة العقيدة ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾ .. ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة ..﴾ وفى الحديث : « مثل المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » .

● وديانة الإسلام فتحت العقول على هذا الكون الواسع وأمرتنا أن نتفكر وأن نعيش عصرنا ونساير التطور ، وإذا اختلفنا فى أمر من الأمور الفرعية فى الدين فليس هناك إلا الحوار حول اختلافنا فى الفهم والاجتهاد فى إطار الاحترام لكل رأى .. وتفهم رأى الآخر ، ومناقشته بموضوعية ودون إسفاف أو اتهام ..

● وفى ديانة الإسلام لا خلاف بين المسلمين فى الأصول .. فكل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله .. وكل مسلم يتفق مع الآخرين فى أركان الإسلام .. والخلاف بين المسلمين ينشأ فى الأمور الفرعية وليس فى الأصول ..

● وفى ديانة الإسلام كل من ينطق بالشهادتين ولا ينكر أمرا معلوما فى الدين بالضرورة فهو مسلم وليس من حق أحد من البشر أن يشكك أو يطعن

فى إسلامه .. له ما لنا من حقوق وعليه ما علينا من واجبات .. لا فرق بين من يأخذ بمذهب مالك أو أبى حنيفة أو الشافعى أو ابن حنبل .. ولا فرق بين سنى وشيعى .. فالخلافات بين هؤلاء هى خلافات فى أمور فرعية ، وكلهم يتفقون على الإيمان بالله وبالرسول وبالتكاليف الشرعية ..

● وفى ديانة الإسلام مادام الخلاف بين المسلمين فى قضايا فرعية فلا يصح أن يكون هذا الخلاف سببا لإثارة العداء بين المسلمين أو إشعال نار القتال فيما بينهم ..

● وفى ديانة الإسلام احترام للحوار كوسيلة وحيدة لحل الخلاف بين المسلمين .. ومادة قال ويقول وقل تكررت فى القرآن أكثر من ألف مرة ، وهذا يعنى أن القرآن يفتح أمام المسلمين باب الحوار ولا يغلق باب الفهم والتفاهم .. وفى القرآن ألوان عديدة من الحوار .. حوار بين المشركين والرسول .. وبين الصحابة والرسول .. وحوار بين المنكرين لليوم الآخر والرسول .. والحوار بين أهل الجنة وأهل النار .. وبين الأخيار والأشرار .. والحوار بين أهل الكتاب ..

لماذا كل هذا الاهتمام بتسجيل كل هذه الحوارات فى القرآن الكريم .. ؟

لكى نفتح عقولنا ، ولكى ندرك أن الخلاف فى الرأى لا يمكن أن يُحسم بالعنف أو التخويف أو القتل ، وما دام الإسلام يقف على أرض صلبة ويقوم على الحقيقة فإن كل خلاف لا ينال منه ، وكل عداوات الأعداء لن تهدمه ..

● وفى ديانة الإسلام لا يعيش المسلم لنفسه ولكن لابد أن يحمل هموم المسلمين ويقدم لهم ما يستطيع من عون مادى ومعنوى وفى الحديث : « من لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم » ..

وبعد ذلك استمر نقاش طويل .. والتف الشيوخ والعلماء حول الإمام

الأكبر كل واحد منهم يحاول أن يصافحه .. ويلتقط صورة معه ، ويسأله الدعاء ..

وكان اللقاء عاطفيا ومؤثرا ..

وأدركت قيمة الأزهر .. أدركت أنها أكبر بكثير مما نقدرها ..

* * *

وفى لقائه مع حاكم كراتشى ..

قال الحاكم : إن هذه الزيارة زيارة تاريخية سنظل نذكرها .. وكنا ننتظرها منذ وقت طويل جدا .. خاصة ونحن نعرف جيدا مكانة وعلم الدكتور محمد سيد طنطاوى وهو الآن من أكبر أئمة العصر وشيخ المجتهدين ..

وقال إننا – فى باكستان وفى كل العالم الإسلامى – نحتاج إلى التركيز على ما قاله الإمام الأكبر عن مبدأ السماحة فى الإسلام .. لأن لدينا مسلمين لا يتسامحون مع من يختلف معهم فى الرأى .. والتطرف الدينى يبلغ إلى حد انتهاك حرمة المساجد .. والطائفية هى أكبر مشكلة نواجهها .. لذلك نحتاج إلى تفهم الرسالة التى تنادون بها عن التسامح ونرجو أن تصل إلى الجميع .

وعلى مائدة غداء تجمع حولها عشرات من العلماء والمشايخ والشخصيات البارزة قال المضيف كمال الدين أظفر حاكم إقليم السند : إن الأزهر هو أكبر مرجعية إسلامية فى العالم ، وشيخ الأزهر هو قمة هذه المؤسسة التى ينظر إليها المسلمون بالاحترام ، ولذلك فإن العالم الإسلامى يتجه إلى الأزهر ، وإلى شيخه ، ليقوم بدور رئيسى فى حل المشاكل التى تهدد المسلمين فى هذا العصر ، وأولها العنف والإرهاب .. وقال الحاكم : إننا نشكرك يا فضيلة الإمام الأكبر على قرارك بزيادة المنح للطلبة الباكستانيين للدراسة فى الأزهر .. ولقد

زرت الاسكندرية وتركت فى نفسى أثرا طيبا ، ولا أنسى كرم الشعب المصرى ..

وقال شيخ الأزهر :

● إن المسلمين محتاجون فى هذه المرحلة بالذات إلى الوحدة ، وهم فى حاجة إلى الأمن والاستقرار ، وبدونهما لا يمكن للمسلمين أن يحققوا آمالهم فى التقدم والبناء .

● وإن الخلافات والانقسامات بين المسلمين لا تفيد المسلمين بأى حال ، وأى عاقل يدرك أن هذه الخلافات تفيد أعداء الإسلام وأعداء المسلمين . لأن الخلافات تؤدى إلى أن يفقد المسلمون قوتهم ، وبالتالى يتوقف البناء والتقدم ، ويظل العالم الإسلامى متخلفا ، وأمر الله سبحانه وتعالى : ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾ ..

● وإن الإسلام هو دين العدل حتى مع أعدائه ، ﴿ ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ .

● وإذا كان العدل لزاما على المسلمين مع أعدائهم فكيف لا يكون الزاما عليهم مع بعضهم البعض ، وكيف لا تكون للمسلم حرمة يجب أن يلتزم بها كل مسلم كما فى الحديث : « كل المسلم على المسلم حرام : ماله .. وعرضه .. ودمه » .

● والإسلام توعد الذين يعتدون على أرواح الناس بأشد العقوبات : « من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا .. ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا » و .. « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جنهم خالدا فيها » وفى الحديث : « المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا » فكيف يتفق ذلك مع العداء والعنف بين المسلمين ..

● وليس هناك طريق أمام المسلمين للخروج من التخلف .. وحل المشاكل

التى يعانون منها ، إلا توحيد صفوفهم ، وإزالة الكراهية والعداوة من صدورهم والكف عن النزاعات ، وأمر الله سبحانه للمؤمنين : ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾ .

● ولا قيمة لمصادر القوة مهما بلغت فى العالم الإسلامى من المال أو السلاح أو العدد إذا لم تتحقق الوحدة ، فاليد الواحدة مهما تكن قوية لا تصفق .. وحزمة الأعواد الضعيفة إذا تكتلت لا يسهل كسرها .. والأعواد القوية إذا تفرقت يسهل كسرها .. فالعقلاء من المسلمين يجب أن تكون رسالتهم هى الوحدة .. ودعوتهم إلى نبذ الخلافات والعنف .. والسعى إلى توحيد صفوف المسلمين ..

... ...

وبعد النداء والحوار كانت الطائرة فى الانتظار للإقلاع إلى العاصمة : إسلام أباد .

* * *

وفى إسلام أباد كان الاستقبال يفوق الوصف .. وزير الشئون الدينية ، وجمع من علماء وشيوخ باكستان الكبار .. وأعضاء السفارة المصرية بكامل عددهم ، ورئيس وراعى الجامعة الإسلامية .. أما السفير المصرى الدكتور محمد نعمان جلال فلم يترك الإمام الأكبر دقيقة واحدة منذ وصل إلى كراتشى إلى أن غادر باكستان .. ليلا ونهارا .. فى كل لقاء .. فى كل مكان .. والحقيقة أن هذا السفير كان يقدم دليلا على أن وظيفة السفير ليست وظيفة ولكنها رسالة وطنية يؤديها بحب ويتحمل فيها قضاء أيام وليالٍ دون أن يجد وقتا للنوم .. وكذلك كانت السيدة الفاضلة حرم السفير .. وكان بيت السفير هو بيتنا .. وكانت السفارة وطننا .. وكان العاملون فى السفارة فى خدمتنا

بمعنى الكلمة .. وللحق على كثرة ما سافرت وتعاملت مع سفراء ممتازين لم ألق سفيرا مثل نعمان جلال فى إخلاصه وتفانيه .. وكان هو « الدينامو » الذى جعل الزيارة تحقق نجاحا لم يسبق له مثيل ..

وفى اليوم الثالث بدأ شيخ الأزهر يومه باجتماع مع رئيس مجلس الشيوخ السيد وسيم سجاد ..

كان الاجتماع رسميا .. ومهيبا .. وروعيت فيه قواعد البروتوكول المقررة لاستقبال رؤساء الدول ..

وقال رئيس مجلس الشيوخ لشيخ الأزهر : إن المؤسسة التى تمثلونها يا سماحة الإمام هى مركز الاحترام والتقدير فى جميع أنحاء العالم الإسلامى ، وبخاصة فى باكستان ، كل باكستانى ينظر إلى الأزهر وإلى شخصكم بالاحترام ، وكثير من القضايا الشرعية نرجع فيها إلى الأزهر ونتطلع إلى مواقفكم التى تتسم بالشجاعة والتفتح والوضوح .. وهناك قضايا عديدة تتطلب التعاون بين الأزهر والمؤسسات الدينية فى باكستان ، هناك قضايا مثل تحديد مفهوم الربا المحرم شرعا ، وتشريعات الأحوال الشخصية تشغل رجال الشريعة عندنا وتحتاج إلى التعاون معكم .. ولقد سبق لى أن زرت مصر عام ١٩٨٧ عندما كنت وزيرا للعدل ، وزرتها مرة ثانية فى العام الماضى بدعوة من الدكتور مصطفى كمال حلمى رئيس مجلس الشورى وقد كونت صداقة مع وزير العدل المستشار فاروق سيف النصر ومع رئيس مجلس الشورى الدكتور مصطفى كمال حلمى ، ونحن نتطلع إلى زيارة الدكتور مصطفى كمال حلمى لباكستان قريبا ، وكنا نتوقع هذه الزيارة فى الشهر الحالى ، ونأمل أن يحضر إلينا قريبا ..

وإن زيارة فضيلتكم تمثل قوة العلاقات الودية التى تربط بين مصر

وباكستان ، وأرجو أن نبحث خلال هذه الزيارة وسائل زيادة التعاون بين البلدين .

وقال شيخ الأزهر لرئيس مجلس الشيوخ : إن هناك ارتباطا وثيقا بين الثقافتين المصرية والباكستانية .. ونحن نسعى إلى تأكيد وتعميق هذه الروابط .. ونحن فى الأزهر ندرس لأبنائنا أصول الشريعة الإسلامية .. أما المذاهب الفقهية فهناك اختلافات فيما بينها فى أمور فرعية ونحن ندرسها جميعا دون تفرقة .. نحن نعلم أبناءنا البعد عن التعصب .. والطلبة عندنا يدرسون فقه مالك والشافعى وأبى حنيفة وابن حنبل ويدرسون مذاهب الشيعة .. وكلها مذاهب إسلامية .. نعلم أبناءنا أن الأصول واحدة ولا خلاف عليها .. وأن الفروع يمكن الخلاف فيها دون خروج عن الشريعة .. فكل المذاهب تتمسك بالأصول فى القرآن والسنة ، فالاختلاف بعد ذلك يجب أن يكون فى إطار الفهم والتفاهم والسماحة .. لا نحل إلا ما أحله الله .. ولا نحرم إلا ما حرمه الله .. لا نضيق ما وسعه الله ، ولا نتوسع فى حد من حدود الله .

وسأل رئيس مجلس الشيوخ : لقد سمعت أنكم أصدرتم فتوى حول معاملات البنوك وقلتم إنها حلال ..

وأجاب الإمام الأكبر : ما قلته مسجل فى كتاب صدر منذ سنوات .. وقلت فيه إن الربا حرام بنص القرآن والحديث ، ولا يمكن أن يجرؤ مسلم على القول بأن الربا حلال .. الربا حرام هذا لا خلاف عليه بالقرآن والسنة .. ولكن ما هو الربا .. تحديد مفهوم الربا ضرورى للحكم على أنه حرام .. وقد قلت فى فتوى : إن كل معاملة من معاملات البنوك لها حكمها وفقا لطبيعتها وتجب دراسة كل معاملة على حدة والحكم عليها ..

وقال رئيس مجلس الشيوخ : ألا ترى فضيلتكم أن الغرب يسيء إلى الإسلام ويشوهه ؟ .

وأجاب الإمام الأكبر : نحن لا نقول إن كل ما فى الغرب رذائل أو كل ما فيه فضائل .. وكذلك المسلمون .. فيهم المعتدلون وفيهم المتعصبون .. فلماذا يحكم الغرب على الإسلام بأنه دين عنف وإرهاب بناء على سلوك قلة ، ولا يحكم على الإسلام بسلوك الأغلبية المعتدلة ..

التعميم هو الآفة التى نشكو منها .. فهناك بعض المسلمين يرتكبون جرائم تتنافى مع الإسلام ومع أى دين من الأديان السماوية من قتل وظلم ، وهذا ما جعل الغرب يتصور أن هذه القلة المنحرفة هى التى تمثل الإسلام والمسلمين .. وبينما الأغلبية من المسلمين تقدم نماذج من التسامح والاعتدال واحترام الآخرين .. ولكى تتحسن صورة الإسلام فى الغرب يجب أن نبدأ بأنفسنا ، وننشر فى بلادنا الفهم الصحيح للإسلام .. ليعرف المسلمون أولا حقيقة الإسلام .. ليعرفوا أن الإسلام يتعارض مع العنف والإرهاب .. لا يمكن أن يكون الإسلام هو الذى يأمر مجرما بأن يضع قنبلة فى سفارة أو فى طائرة .. هذا ضد الإسلام .. ونحن فى الأزهر نستقبل كل شهر أكثر من ٢٠٠ شخص يأتون إلينا من دول الغرب ليعلنوا إسلامهم .. ويدخلوا الإسلام عن اقتناع ودون إكراه وبعد دراسة للقرآن والحديث والفقه .. ويقولون إنهم وجدوا الإسلام دين اعتدال وضد التطرف إلى أى اتجاه .. فلا هو ينكر متع الحياة الحلال . ولا هو يدعو إلى كراهية غير المسلمين .. بل العكس هو الصحيح .. إنه يدعو إلى احترام أصحاب الديانات الأخرى والتعايش معها سلميا ودون عنف .. لو حكم الغرب على الإسلام بسلوك القلة المنحرفة من أبنائه فهو المخطئ .. والواجب أن يكون منصفا ويحكم على الإسلام بسلوك الأغلبية ، وهم المعتدلون .. ونحن نعترف بأن الانحراف موجود فى البشر .. فى الشرق وفى الغرب .. بين المسلمين وغير المسلمين .. ويجب أن ننسب

الجريمة إلى المجرم ولا ننسبها إلى الديانة التى ينتسب إليها إلا إذا كانت أحكام هذه الديانة تنص على القتل والكراهية والتعصب .. وهذا مستحيل بالنسبة للإسلام ..

وقال رئيس مجلس الشيوخ : إن هذه الآراء يجب أن تكون منشورة باللغات التى يقرؤها الغرب .. لابد من ترجمة الكتب والأبحاث الإسلامية المستنيرة التى يقدمها الأزهر لكى يقرؤها الغرب بلغته ..

واستمر الحوار حول كيفية تقديم الإسلام على حقيقته للعالم الغربى لمواجهة الحملة على الإسلام التى تستغل جرائم يرتكبها بعض المسلمين المنحرفين هنا وهناك ..

* * *

وخرج شيخ الأزهر إلى لقاء مع قسم اللغة العربية بجامعة القائد الأعظم .

وقال رئيس القسم : إن الفضل فى تدريس اللغة العربية فى هذا القسم يرجع إلى الأزهر ففيه ١٤ أستاذا من مبعوثى الأزهر ، وفى هذا القسم فصول للتعليم باللغة العربية فى المرحلة الابتدائية لكى يتعلم الأطفال هذه اللغة من الصغر ، وفيه أيضا دبلوم الدراسات العليا والترجمة الفورية وماجستير ودكتوراه فى اللغة العربية .. والأساتذة مصريون يؤدون واجبهم بشكل يدعو إلى التقدير .. وفى كل سنة يلتحق بهذا القسم ٥٠٠ من ضباط القوات المسلحة والشرطة وموظفى الحكومة ليدرسوا اللغة العربية لمدة ٦ شهور .. وفى القسم الآن ٤٠٠ طالب وطالبة .. والأزهر يدفع رواتب المبعوثين منه وتدفع لهم حكومة باكستان بدل سكن قليلا جدا ، وفى باكستان ٥٤ مبعوثا من الأزهر يتحمل الأزهر رواتبهم وانتقالاتهم . وقد ساهموا فى تعليم اللغة

العربية والدين على نطاق واسع ، ولهم وجود وانتشار تظهر آثاره فى المجتمع الباكستانى ، وخرج شيخ الأزهر إلى لقاء مع رئيسة الوزراء بينظير بوتو ..

* * *

فى مبنى جميل من دور واحد يقع فى قلب حديقة واسعة جدا يقع مبنى رئيس الوزراء ، وكان الاستقبال الرسمى رفيع المستوى على الباب ، وكانت رئيسة الوزراء فى الانتظار ..

كانت هادئة رغم أنها تعيش هذه الأيام وسط عواصف سياسية تكاد تقتلع حكومتها والسحب تتجمع حولها بقوة .. وهى ثابتة .. تتحرك هنا وهناك وتواجه الخصوم وتكسب الأصدقاء .

وأمام شيخ الأزهر كانت رئيسة الوزراء فى غاية الهدوء ..

بدأ شيخ الأزهر بتقديم العزاء لمصرع شقيقها ..

وبدأت رئيسة الوزراء فى حديث طويل يبدو أنها كانت قد أعدت عناصره بعناية ..

قالت : إن الأزهر الشريف يتمتع بمكانة كبيرة فى العالم الإسلامى .. كما يتمتع شيخ الأزهر بمكانة كبيرة بين المسلمين .. وكان والدى يريد أن يرسلنى إلى الأزهر لأتعلم الدين الإسلامى من المنبع الصحيح ولكنى لم أكن أعرف اللغة العربية فلم أستطع أن أحقق له هذه الأمنية .

وقالت لشيخ الأزهر بعد ذلك : إن آراءكم فى الموضوعات الاقتصادية والاجتماعية تعبر عن نضج الأمة الإسلامية ، وبهذه الآراء أنت داعية لكل العالم الإسلامى فى هذا العصر .. ونحن نعتقد أن هناك محاولة لتشويه صورة الإسلام ، وتقسيم العالم الإسلامى ، وكذلك تقسيم المسلمين داخل كل دولة .. ومن هنا ظهرت مجموعات بعضها ينتمى إلى العالم الإسلامى ،

وبعضها من خارجه ، وأصبح علينا أن نعمل معا ، وأن نكون يدا واحدة ضد الذين يشوهون صورة الإسلام .. ونحن نعتقد أن الأزهر .. وأن فضيلة شيخ الأزهر بالذات .. هو المسئول عن الدفاع عن الإسلام ..

وقالت : فى العام القادم سنحتفل بمرور ٥٠ عاما على إنشاء دولة باكستان .. إن مصر يا فضيلة الإمام الأكبر دولة قديمة وباكستان دولة حديثة .. وفى الخمسينات لعبت باكستان دورا رئيسيا فى تحرير الجزائر وماليزيا وأندونيسيا وغيرها من البلاد الإسلامية .. وعندما كان والدى رئيسا للوزراء استضاف المؤتمر الإسلامى فى لاهور .. وعندما سافرت إلى الولايات المتحدة وفرنسا أشرت فيهما إلى أن العالم الإسلامى غاضب من الموقف الغربى من قضايا العرب والمسلمين ..

ولقد ساعدنا الشعب الأفغانى عندما كان تحت الاحتلال ، وموضوع شعب كشمير معروف تماما للعالم ..

وفى العام القادم ونحن نحتفل بالعيد الذهبى لدولة باكستان فإننا نتطلع إلى مشاركة العالم الإسلامى فى مؤتمر كبير يرسم إطار العمل المستقبلى لنا جميعا .. ونحن نتطلع إلى مساعدة شيخ الأزهر فى تأييد جهود مجلس الفكر الإسلامى والجامعة الإسلامية فى باكستان ..

وقالت : إننى اقترح تشكيل لجنة عمل مصغرة من الأزهر لتراجع مناهج وكتب الجامعة الإسلامية وتجعلها على غرار مناهج الأزهر ..

وقالت : إننى أشكر فضيلة الإمام الأكبر لتقديم المنح العديدة لباكستان للدراسة فى الأزهر . وقد طلبت من وزير الشئون الدينية أن يطلب استقدام أساتذة من الأزهر لتدريب الأساتذة الباكستانيين ..

وقالت : إننى أنتهز هذه الفرصة لأعبر عن تقديرى الكبير للرئيس حسنى مبارك .. فقد لعبت مصر دورا بارزا بقيادته .. ونحن نشعر بالفخر للدور

الذى تقوم به مصر دون تردد .. وقد كان لدعوة الرئيس مبارك لعقد قمة عربية صدى كبير فى العالم الإسلامى وهى دعوة تدل على الشجاعة وروح المبادرة والحرص على الوحدة العربية .. ونحن نتطلع إلى زيارة الرئيس مبارك لباكستان .. وأن حكومتى ترحب بجهود مصر ومبادرتها وتأكيدها على أن الإسلام هو تحرير الفرد والعالم من التخلف والتبعية .. ويجب أن نعمل معا لمواجهة الإرهاب والتخريب .

وقالت : إننى أتذكر جيدا زيارتى لمصر للمشاركة فى مؤتمر السكان .. وإننى أشيد بدور الأزهر .. إننى أشعر أن واجبى ليس العمل لتطوير باكستان فقط ، بل العمل من أجل الإسلام . وأعتقد أن الأمة الإسلامية نجحت عندما كانت تركز على العلوم والتكنولوجيا ، وإننى أتطلع إلى أن تدعو باكستان إلى مؤتمر لبحث هذه الأفكار ، وأرجو أن يقبل فضيلة الإمام الأكبر أن يكون رئيسا أو ضيف شرف لهذا المؤتمر .. وأرجو أن يقترح فضيلته أسماء من يشتركون فيه من العالم الإسلامى وأفريقيا والعالم العربى ..

وقالت : إننى أريد الحديث قليلا عن كشمير وأفغانستان .. فى الإعلام أن باكستان تؤيد مجموعة طالبان فى أفغانستان .. وهؤلاء كانوا طلبة يدرسون فى مدارس أقيمت فى أفغانستان أيام الصراع مع الاحتلال السوفيتى .. وقد أقام هذه المدارس الأمريكان والحكومة الأفغانية السابقة ودولة عربية أخرى .. وبما أنهم أفغان طلبوا الرحيل إلى بلادهم ولا نستطيع أن نمنعهم ..

طالبان لم يواجهوا معركة حقيقية فى أفغانستان .. ومن جانبى أرسلت فريقا خاصا رفيع المستوى إلى أفغانستان ليعمل على التوصل إلى وقف إطلاق النار ، وأعتقد أنه من الضرورى أن يتفق طالبان مع دوستم وأن يضموا عناصر من التأميل ، وقد أوكلت إلى هذا الوفد إقناع طالبان بتوسيع قاعدة السلطة

وألا ينفردوا بالحكم وحدهم . وإذا وافق طالبان على ذلك فستكون منطقة شمال أفغانستان آمنة . وقد طلبت إلى وزير الخارجية أن يغادر إلى نيويورك ليتابع الموقف .. ويؤكد على ضرورة وقف إطلاق النار وإيجاد قوة لحفظ السلام .. كما أننا أبلغنا طالبان استياءنا الشديد لقيامهم بإغلاق مدارس البنات ومنع المرأة من العمل ، وقالوا إن النساء عادة هن ضحايا الحروب ، ولذلك أرادوا أن تبقى النساء في البيوت حماية لهن إلى أن تنتهي المعارك ، وقالوا لنا إنهم فتحوا مدرسة لتدريب الممرضات ، وأعادوا فتح مدرسة للبنات حتى الصف السابع ..

وختمت حديثها بقولها : إنني أرحب بك يا فضيلة الإمام الأكبر وأرجو أن تنقل إلى الرئيس مبارك تحية خاصة من أخته وتقديرنا لمواجهته لقضية الإرهاب .. ولقد واجهت الإرهاب وجعلني ذلك أواجه العديد من الأعداء .. ولكنني أعتقد أن القيادة السياسية هي النضال من أجل الحق .. وبصرف النظر عن وجود عداوات ومواجهات ضدي فإنني مصرة إصرارا تاما على تنظيف باكستان من أي عناصر إرهابية .

* * *

كان اللقاء حارا ، وأرادت رئيسة الوزراء أن تطرح فيه قضايا كثيرة وأن تلقى بالمسئولية على الأزهر الشريف وشيخه .. وكان حاضرا وزير الشئون الدينية ، ووكيل وزارة الخارجية لأن وزير الخارجية في نيويورك ، وعدد من معاوني رئيسة الوزراء ، وكان السفير محمد نعمان جلال هو الذي يتولى الترجمة بنفسه ..

وقال الإمام الأكبر للسيدة بنازير بوتو إن باكستان قريبة منا ونحن نعرف ونقدر ما تقدمه حكومة باكستان ونشكرها عليه ، وهدفنا أن يفيق الضالون

فى العالم الإسلامى ليدركوا أن الإسلام رباط بين المسلمين .. أنه عقيدة توحد ولا تفرق .. تبنى ولا تهدم .. تعمر ولا تخرب .. ولا يقبل من المسلمين أن يتقاتلوا فيما بينهم أو أن يقتل بعضهم بعضا لأى سبب من الأسباب .. إن رسالة الأزهر أن ينشر الإسلام الصحيح ويكشف الأفكار المنحرفة التى يدسها البعض فى الإسلام .. إن الإسلام دين يدعو إلى الإصلاح وليس إلى الافساد .. يدعو إلى التيسير وليس إلى التعقيد .. يدعو للبناء وليس للهدم .. للإصلاح وليس للإفساد .. يدعو أهله إلى العلم وليس إلى الجهل .. والأمم فى عصرنا لا تُقدر قيمتها بعدد أفرادها ، وإنما بما لديها من علم وحضارة ، والعلم فى شريعة الإسلام ليس مقصورا على الرجال ولكنه فريضة واجبة على كل الرجال وعلى كل النساء .. والقرآن الكريم جمع فى آية واحدة فى سورة الأحزاب عشر صفات يتساوى فيها الرجال والنساء ﴿ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾ . (سورة الأحزاب : الآية ٣٥) . وفى ذلك إشارة إلى أن مكانة المرأة فى الإسلام وأمام الله لا تقل عن مكانة الرجل .

وقاطعت بينظير بوتو الدكتور طنطاوى وقالت له : أعد هذه الآية من فضلك .. سوف ألتقى الآن بعدد من القيادات السياسية والاجتماعية وأريد أن أقولها لهم .. وأعادها الإمام الأكبر .

وعاد شيخ الأزهر يواصل حديثه : نحن نتفق معك فى أن تصرفات بعض المسلمين الذين لا يفهمون الإسلام فهما صحيحا هى التى جعلت صورة الإسلام مشوهة فى الغرب .. ولكنى أرى أن الغرب مخطئ .. عليهم أن يعرفوا الإسلام من أصحاب العقول السليمة وليس من السفهاء .. ومن مصادره الصحيحة وليس من أفكار المنحرفين .. ومن جانبنا يجب أن نقدم

القدوة الإسلامية للغرب .. ولو فهم الغرب الإسلام على حقيقته لوجد أنه دين يدعو إلى احترام الإنسان واحترام العقل وإقامة المجتمع على أساس صحيح من العدل والحرية .. وكل مسلم يجب أن يقف مع الحق حتى ينتصر ويقف ضد الظلم حتى ينكسر .. وكل مسلم لابد أن يضع أمامه قول الله تعالى : ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها ، وغضب الله عليه ، ولعنه ، وأعد له عذابا عظيما﴾ .. وقول الرسول : « المسلم من سلم الناس من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » .. والقاعدة فى الإسلام أن سباب المسلم فسوق وقتاله كفر .. لذلك حرصت على أن أوجه نداء من باكستان إلى المسلمين فى أفغانستان أناشدهم فيه أن يلقوا السلاح ، وأن يعيشوا جميعا إخوة تجمعهم كلمة الله ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾ وأن يلتزموا بأمر الرسول الذى نهى أن يشير أى مسلم على أخيه المسلم بالسلاح مجرد إشارة .. والأزهر يناشد أبناء أفغانستان أن يحقنوا دماءهم .. فكلهم مسلمون .. ويجب ألا يلجأوا إلى أى وسيلة بينهم الا الحوار والكلمة الطيبة ..

والأزهر يتعاون مع باكستان فى مجالات كثيرة .. ففى باكستان ٥٥ مبعوثا من الأزهر يقومون بالتدريس فى المدارس والجامعات .. كما أنشأ الأزهر معهدا ابتدائيا يدرس باللغة العربية بالمنهج المتبع فى معاهدة ، ويقدم الأزهر لأبناء باكستان عددا من المنح للدراسة والإقامة ، فى مختلف المراحل حتى مرحلة الماجستير والدكتوراه ، وسوف نعمل على زيادة هذه المنح بإذن الله بناء على طلبكم ..

ونحن نعيش بقلوبنا مع المسلمين فى كشمير وندعو الله أن تنتهى هذه المشكلة سلميا حقنا لدماء المسلمين ..

وفى هذا اليوم أقام سفير مصر فى باكستان الدكتور محمد نعمان جلال حفل غداء على شرف فضيلة الإمام الأكبر دعا إليه أكثر من مائة وخمسين

من الوزراء الحالين والسابقين ، وكبار المسئولين السياسيين ، والشخصيات الدينية من مختلف المذاهب ، ورجال الفكر والصحافة والإعلام ، وفى هذا الحفل الكبير تحدث الإمام الأكبر عن أدب الحوار فى الإسلام والوفاق بين الطوائف والمذاهب الإسلامية ، وتتابع المتحدثون : وزير الأوقاف .. وممثلو الطوائف .. ورؤساء الجامعات .. وأهدوا إلى الإمام الأكبر عمامة باكستانية طلبوا منه ارتداءها رمزا لقبوله أن يكون إماما أكبر لهم ..

* * *

ثم انتقل الإمام الأكبر إلى مبنى الجمعية الوطنية (مجلس النواب) ، وكان فى استقباله رئيسها السيد رضا جيلانى .

وفى الجمعية الوطنية كان هناك حشد كبير من الأعضاء والقيادات السياسية ، وقال رئيس الجمعية : يا فضيلة الإمام الأكبر .. نحن نحترمك ونحترم الأزهر ، ونتطلع إليكما فى كل لحظة .. ونحن حريصون على متابعة كل ما يصدر منكم من آراء ، ونقدر جهادكم من أجل خدمة الإسلام .. ومنذ كنا صغارا ونحن نسمع عن الأزهر أحاديث يملؤها التقدير والإجلال .. وكنا نرى سعادة من يجد فرصة من أبناء باكستان للسفر إلى مصر ليتعلم فى الأزهر الإسلام الصحيح .. ونحن دائما نتعلم من الأزهر ، ونستفيد منه ، ونتعلم من مواقفه المعتدلة المستنيرة ، ونشكركم من أعماق قلوبنا على المنح التى وفرتموها لأبنائنا ليتعلموا فى الأزهر ، ونحن نتطلع إليكم لتتولوا القيادة لتوحيد العالم الإسلامى .. ودائما نتطلع إلى الأزهر ليقوم بهذا الدور وسيتحقق ذلك بفضل ما لديكم من قدرة على العمل وما تلاقونه من قبول واحترام من جميع المسلمين .

وقال أيضا : إن المؤسسات الإسلامية فى باكستان مثل مجلس الفكر الإسلامى ، والجامعة الإسلامية ، والمحكمة الشرعية ، وغيرها مدينة للأزهر

بالكثير .. وما يشغلنا الآن أن هناك فئات وطوائف تشوه الإسلام مع الأسف ، وتهدم بعض ما يبنيه الأزهر ، وعلينا أن نواجه هذه الفئات ونحفظ الإسلام من التشويه والاعتداء .. ونحن ندعو إلى إنشاء اتحاد برلمانى للدول الإسلامية على غرار الاتحاد البرلمانى الدولى ليكون عاملا من عوامل التجميع والتقريب بين المسلمين .

وأفاض الإمام الأكبر فى شرح حقائق الإسلام الذى يقوم على الحرية ، والعدل ، والإخاء الإنسانى ، ورفض العنف ، وشرح ما يقوم به الأزهر لخدمة العالم الإسلامى ..

وفى المساء أقام وزير الشئون الدينية الباكستانى حفل عشاء كبيرا واستمر الحوار – بعد الكلمات – إلى ساعة متأخرة .

وبعد ذلك التقى مع جمع من أبناء الأزهر والجالية المصرية ..

كان اليوم طويلا .. مزدحما .. ولكن لم نشعر بالتعب .. كانت المشاعر حولنا تجدد النشاط وتملؤنا حماسا ..

ولم يكن شيخ الأزهر يرفض طلبا لأحد .. يجيب عن كل سؤال .. ويقبل كل دعوة .. ويشارك فى كل حوار .. والآذان حوله صاغية دائما ..

* * *

فى اليوم الرابع استقبل الإمام الأكبر وزير الداخلية الباكستانى ، كما استقبل المسئول عن شئون المساجد فى إسلام أباد ، ثم زار المعهد النموذجى الأزهرى الذى انشأه الأزهر للتدريس باللغة العربية وبمدرسين من الأزهر .. طاف بالفصول .. اختبر التلاميذ فى حفظ القرآن وفهم معانيه ، شاهد حصص الحساب والجغرافيا باللغة العربية .. ثم اجتمع بهيئة التدريس وبحث معهم تطوير المعهد وتوسيع مجال خدماته ..

● بعد ذلك زار الإمام الأكبر الجامعة الإسلامية .. كان فى استقباله وزير

التعليم وراعى الجامعة السيد ملك معراج خالد وهو من الشخصيات البارزة وسبق له أن تولى مناصب وزارية عدة مرات ، كما كان رئيسا للجمعية الوطنية مرتين .. ومدير الجامعة الدكتور حسين حامد حسان ونائبه الدكتور أحمد العسال ، وعشرات الأساتذة ومئات من الطلبة والشخصيات العامة ..

قال راعى الجامعة : هذا شرف كبير أن يزورنا الإمام الأكبر وهو أبرز الشخصيات الإسلامية وله سمعة عالمية فى مجال خدمة الإسلام والتعليم الإسلامى فى العالم الإسلامى كله ، وإننى أعتبر هذه اللحظة التى أرحب فيها بهذا الضيف الجليل أسعد اللحظات فى تاريخ الجامعة ، التى تضم ١٢ كلية ومركزا علميا ، و ٣٠٠٠ طالب وطالبة ، وإننا نستلهم من هذه الزيارة روحا إسلامية حقيقية ، وأريد أن أشير إلى دور سفير مصر فى باكستان الدكتور نعمان جلال الذى يسهم فى تعميق محبة الباكستانيين لمصر .. وإننا نتطلع إلى مساعدة الأزهر لدعم وتوجيه هذه الجامعة ..

وفى حديث الإمام الأكبر انتقل من التحية إلى دور الجامعة ومسئوليتها ، فقال : لو سألنى سائل ما أبرز خصائص شريعة الإسلام فإجابتى أن أول هذه الخصائص : الوضوح .. ليس فى شريعة الإسلام أسرار أو خفايا أو طلاسم أو حقائق لا يعلمها إلا الصفوة .. لذلك حاربت شريعة الإسلام النفاق ، وإظهار المسلم عكس ما يخفى ، وفرضت أن تكون عبادة المسلمين خالصة لله .

من الذى يستطيع أن يقنع الناس بأن وحدة الله حق ، وأن شريعة الإسلام هى السماحة والتعاون والتآخى والبعد عن كل مبالغة أو تطرف ؟ العلماء هم القادرون على ذلك ، ولذلك يجب أن نبدأ بإعداد الدعاة إعدادا دقيقا بحيث لا يلتبس عليهم الفكر ، ويستطيعون التفرقة فى شريعة الإسلام بين الحقيقى والزائف ، وبين الأصيل والمدسوس ..

وفى العبادات أيضا نجد خاصية الوضوح .. الصلاة .. الزكاة ..

الصيام .. الحج .. كل شيء فيها واضح بحيث يدركه الطفل والأمي .. ولا يحتاج إلى تعقيد يكلف الناس من أمرهم عسرا .. فالله يسر على الناس ، وليس من حق أحد أن يضيف عليهم تعقيدات لم يفرضها الله .. فالخاصية الثانية بعد الوضوح في شريعة الإسلام هي السماحة واليسر ورفع الحرج والاعتدال : وفي القرآن ﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾ .. ﴿لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها﴾ .. ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ .. ﴿يريد الله أن يخفف عنكم﴾ .. ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ .. وفي الحديث : « إن الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فيسروا ، وبشروا ، ولا تنفروا » ..

وفي المعاملات نجد الوضوح الكامل : لا يستغني الناس عن التعامل فيما بينهم ، وحرام على المسلم أن يأكل أموال الناس بالباطل : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ .. وفي الكتاب والسنة والفقه تفصيل واضح لما هو حلال وما هو حرام في معاملات الناس ..

وفي علاقة المسلم بغير المسلم شريعة الإسلام واضحة : ﴿ فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم﴾ .. ﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » وغير المسلمين الذين يعيشون معنا وفقا لأمر الرسول : « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » ..

ساعتان والإمام الأكبر يتحدث ويفيض في رفض الإسلام للإرهاب بكل صوره ودرجاته .. فالمسلم الذي يستخدم العنف مع غيره من المسلمين لا يفهم حقيقة الإسلام .. ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله﴾ .

* * *

وفي القصر الجمهوري كان لقاء شيخ الأزهر مع الرئيس فاروق أحمد

ليجارى .. قال فيه رئيس باكستان : نحن نعتبرك أستاذا كبيرا ، ورمزا للإسلام ، والأزهر الشريف له دور كبير جدا منذ مئات السنين فى خدمة الإسلام والمسلمين ، ونحن نحملك تحية للرئيس حسنى مبارك ، ونحن نتطلع لزيارته لنا ، وهناك موضوعات كثيرة تهم المسلمين .. فى الاقتصاد والمعاملات .. ودور المرأة فى المجتمع الإسلامى .. وموقف الإسلام من التحديث والتكنولوجيا والعلوم الحديثة .. وأنت كأستاذ جامعى ، ومفكر عالمى ، والمفتى الأكبر نلجأ إليك لتبين لنا الطريق ..

وتحدث الإمام الأكبر عن المعاملات وفقا لمبدأ أن كل معاملة لا تقوم على الغش أو الخداع أو الربا أو الظلم أو الاستغلال أو التحايل فهى حلال .. وفيما يتعلق بالسلوك فإن المسلم مطالب بأن يقيم علاقاته على التعاون على البر والتقوى وليس على الإثم والعدوان .. والخلاف بين المسلمين قائم على الفروع وليس على الأصول .. وفى الفروع الخلاف جائز ، ولا يمكن تكفير من يختلف معنا فى أمر من الأمور الفرعية مادام متفقا معنا فى الأصول .. ونحن لا نفرق بين سنى وشيعى ، وفى الأزهر ندرس لأبنائنا كل المذاهب ، ونعلم أبناءنا أن اختلاف المذاهب أمر من طبائع الحياة وفيه رحمة ، ونعلمهم أن الحوار هو وسيلة العقلاء ، والعنف هو وسيلة السفهاء ..

وقال رئيس باكستان : يا فضيلة الإمام الأكبر .. نحن نتطلع إليك من موقعك الكبير لتقودنا إلى حل الخلافات والمشكلات القائمة ..

وأجاب الإمام الأكبر : أننا لا نتأخر عن القيام بمسئوليتنا .. والأزهر وظيفته الأساسية بيان حقائق الإسلام وواجبات المسلمين تجاه أنفسهم وتجاه اخوانهم وأوطانهم .. وأعظم ما فى الإسلام أنه دين واضح وسهل يصل إلى عقل الصغير والكبير إذا كان عقلا سليما متحررا من التحيز وسوء القصد .

وقال الرئيس : نحن نقرأ القرآن دون أن نقف بالتفصيل على المعانى

والتوجيهات .. المسلمون لا يدركون بعمق أن القرآن كتاب سلوك .. فيه الأمر والنهى .. وليس مجرد آيات للتلاوة التماسا للبركة ..

وقال الإمام الأكبر : إن القرآن فى حقيقته يشمل قواعد العمل ، والتفصيل فى السنة والفقه .. وفى هذه المصادر نجد دعوة إلى العلم وإلى استخدام العقل والمنطق وإلى عدم استخدام العنف وإلى مد يد التعاون والأخوة لكل الناس الذين يمدون إلينا أيديهم بإخلاص سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين .. فالإسلام هو الدين الذى يأمرنا أن نساير التطور .. ونأخذ بأحدث ما فى العصر .. ونضيف .. وعلماء المسلمين شاركوا فى الحضارة الإنسانية وكان منهم علماء الكيمياء والرياضيات والفلك والطب والجراحة .. فكيف يقال إن الإسلام دين الصحراء والبداوة والتخلف .. هذا ظلم للإسلام وسوء فهم ..

وقال الرئيس : إننى مثل كل مسلم أشعر بالقلق لعدم وضوح مفهوم الربا وللقول بأن الاجتهاد قد أغلق بابه منذ قرون ، ونحتاج إلى رأيكم ..

وقال الإمام الأكبر : إن باب الاجتهاد لم يغلق أبدا .. الرسول اجتهد والصحابة اجتهدوا .. والأئمة اجتهدوا .. ونحن لنا عقول ومن حقنا أن نجتهد مادام فينا من تتوافر فيه شروط الاجتهاد .. أما الربا فهو حرام .. والربا المحرم هو زيادة المال استغلالا لحاجة المحتاج الذى يلجأ إلى الاقتراض من أجل ضرورات الحياة .. لأن الإسلام يأمر أتباعه الا يلجأوا إلى الاقتراض إلا إذا كانت حياتهم فى خطر .. أما المعاملات فى التجارة مع البنوك فهذا موضوع فيه تفصيلات .. وسأقدم لكم كتابى عن المعاملات الإسلامية .. وقلت فيه : إن معاملات البنوك ليست كلها حلالا .. وليست كلها حراما .. وكل معاملة منها يكون الحكم عليها بحسب طبيعتها ..

وقام رئيس الجمهورية يطلب من الإمام الأكبر أن يكون إمامنا فى

الصلاة .. ووقف خلفه فى القصر الجمهورى مع حشد من المسئولين .. وبعد الصلاة أقام الرئيس مأدبة غداء تكريما لشيخ الأزهر .

فى المساء كانت زيارة مجلس الفكر الإسلامى ، وهو يماثل المجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى مصر ، وكان المبنى الكبير غارقا فى الأضواء ، وساحة مليئة بالبشر ..

وتحدث الإمام الأكبر حديثا مستفيضا عن الفكر الإسلامى الرشيد والفكر الإسلامى المنحرف .. وتحدث عن مفهوم « القوة » التى يحث عليها الإسلام أتباعه فقال : إنها ليست القوة الغاشمة .. أو الظالمة .. ولكنها القوة العاقلة .. القوة العادلة .. أما القوة التى تعتدى على حياة الآخرين أو تسلبهم أموالهم فهذه ليست القوة المسلمة ..

وقال : إن الأمة الإسلامية لن تأخذ مكانها فى العالم إلا إذا دخلت المنافسة العالمية فى التقدم العلمى والصناعى والحضارى .. وسمة المسلم التواضع ، فالأستاذ فى مجال هو تلميذ فى مجال آخر ، ولكن المشكلة أن بعض الناس يظنون أن تفوقهم فى التخصص فى علم أو مجال معين يعطيهم الحق فى أن يصبحوا علماء فى كل شىء .. والعلم فى الإسلام مرتبط بالأخلاق .. وإذا تجرد العلم من الأخلاق فإنه يتحول إلى طاقة مخربة ؛ ولذلك يقول رسولنا : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

بعد ذلك حضر الإمام الأكبر عشاء شاركه فيه حوالى ٢٠٠ من أكبر شخصيات المجتمع الباكستانى على رأسهم رئيس مجلس الفكر الإسلامى السيد إقبال أحمد خان ، وهو بدرجة وزير ، وكان يشغل منصبا وزاريا من قبل ، وشارك فى عدة اجتماعات للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى مصر ..

* * *

فى اليوم الخامس – سجل الإمام الأكبر حديثا طويلا لتلفزيون باكستان فى حوار مع الدكتور أنيس أحمد الأستاذ بالجامعة الإسلامية . وملخص الحوار :

– أن الأزهر وشيخ الأزهر لهما رسالة عالمية ، فكيف ترون الحوار بين الإسلام والحضارات الأخرى ونحن على مشارف قرن جديد ؟

●● الحياة تتطور من يوم إلى يوم ومن جيل إلى جيل ، ويشمل التطور جوانب الحياة المادية والاجتماعية والعقلية والثقافية ، ولكن هناك ثوابت لا تتغير هى العقائد .. والقيم الأخلاقية .. مبادئ الإسلام لا تتغير .. والأخلاق التى ينادى بها الإسلام لا تتغير .. الصدق والعدل لا يلحقهما التغير .. أما المعاملات فهى تتغير .. كان التعامل بين الناس محدودا فى العصور الماضية والآن ظهرت صور جديدة للمعاملات .. كان الانتقال صعبا والآن أصبح سهلا فأصبح الحوار بين البشر ألزم ، ونحن كمسلمين نرحب بالحوار مع كل الأديان وكل الحضارات .. مع المسلمين وغير المسلمين .. الحوار عندنا يجب أن يقوم على الموضوعية ، ويهدف إلى الخير لا إلى الشر ، وغايته الوصول إلى الحقيقة وليس المغالطة ، والقرآن حافل بعشرات النماذج من الحوار .. حوار بين الله وإبليس .. وبين الرسل وأقوامهم .. وبين النبى والمشركين .

– هل يمكن أن يكون الحوار مع الأفكار التى تأتينا من الغرب فى المجالات الاجتماعية والاقتصادية .. ؟

●● نحن لنا قيم علَّمنا إياها الإسلام .. نحن نحاور غيرنا من أجل الوصول إلى الحقيقة وتبادل المنافع بين الناس .. التبادل بين الثقافات والحضارات لصالح البشرية .. نحن نقدم للغرب ما لدينا .. والغرب يقدم إلينا ما لديه .. ونأخذ ما ينفعنا ويساعد على تقدمنا وقوتنا ولا يتعارض مع ديننا .. لابد أن نتعلم من

غيرنا ما دمنا لا نتنازل عن القيم الإسلامية . والرسول أمر أصحابه بتعلم اللغات السريانية والعبرية ولم يقل الرسول : هذه ليست لغة العرب .. ولكنه قال إن فى تعلمها خيرا وفائدة ، وأرسل الرسول بعض الصحابة إلى بلاد الأعداء ليتعلموا فيها فنون الحرب وصناعة السلاح .. وعندما أرسل أبو بكر الصديق خالد بن الوليد لمحاربة الأعداء قال له : يا خالد حاربهم بالسلاح الذى يحاربونك به .. أولا حاربهم بالسيف إذا حاربوك بالسيف .. وحاربهم بالرمح إذا حاربوك بالرمح .. ولو كان أبو بكر فى عصرنا لقال : وإن حاربوك بالقنبلة الذرية فحاربهم بالقنبلة الذرية .. وفى النهاية العلم لا وطن له . ولا يرتبط بدين دون دين آخر .

– هل يمكن أن يبدأ الحوار والغرب فى موقع قوة ..؟ وما دور الأزهر؟

●● الحوار ممكن فى كل وقت .. وهو وسيلة للتقدم .. والأزهر يرحب بكل حوار ويشارك فيه .. الإسلام دين يستطيع أن ينتصر فى كل حوار .. ويستطيع رجال الأزهر أن يدافعوا عنه .. فلماذا نرفض الحوار أو نتهرب منه ..؟

– كيف ينظر الأزهر إلى مجالات التعاون مع باكستان؟

●● الأزهر يقدم ما يستطيع .. فى مصر عشرات الباكستانيين يتعلمون فى الأزهر وسنزيد عددهم .. وأنا شخصيا أشرف على بعض الطلبة الباكستانيين يعدون رسائل دكتوراه فى جامعة الأزهر .. وللأزهر الآن معهد لتعليم اللغة العربية والدين فى إسلام أباد .. وفى باكستان عدد كبير من أساتذة الأزهر والعلماء .. وهذا واجبنا : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » .

– الأزهر صاحب فضل على العالم الإسلامى كله منذ قرون .. ما دوره بالنسبة للأقليات المسلمة فى العالم ..؟

●● يدافع عنهم .. يذهب إليهم بعلمائه ويقدم لهم الدين الصحيح ويسهم فى تعليمهم ورفع مستواهم الثقافى .. ونحن نحمد الله لأننا فى مصر لا نعرف كلمة الأقلية والأغلبية .. المسلمون والمسيحيون فى مصر يعيشون معا على قدم المساواة وكل من يحمل الجنسية المصرية هو مصرى له ما لكل المصريين من حقوق ، وعليه ما عليهم من واجبات دون تفرقة .. وندعو جميع الدول إلى معاملة الأقليات من المسلمين بهذا المفهوم المتحضر الذى نلتزم به التزاما بأوامر شريعة الإسلام .. فالإسلام لا يفرق بين الناس فى الحقوق والواجبات بسبب اللون أو الجنس أو الدين ..

بعد ذلك توجه الإمام لأداء الصلاة وألقاء خطبة الجمعة فى أكبر مساجد باكستان وهو مسجد فيصل واحتشد فيه ما يقرب من مائة ألف شخص ..

فى اليوم السادس فى الصباح الباكر كان الإمام الأكبر قد طار إلى مدينة لاهور ..

وكانت مدينة لاهور ، العاصمة الثقافية لباكستان فى انتظار شيخ الأزهر ..

كان فى المطار حشد كبير ، وفرق موسيقى ، وأعلام ، وهتافات : الله أكبر .. وعلى رأس المستقبلين حاكم إقليم البنجاب الذى أقام حفل غداء كبيرا للإمام الأكبر بعده قام بزيارة مسجد باتشاهى أكبر وأقدم مساجد لاهور وأدى فيه صلاة العصر وسط آلاف المصلين جاءوا ليروا شيخ الأزهر .. وتحدث الدكتور محمد عبد القادر آزاد رئيس دار الإفتاء فى باكستان والإمام الأكبر فى المسجد التاريخى فرحب بالإمام الأكبر باسم رئاسة مجلس علماء باكستان ، والرئاسة العامة للدعوة ، ووزارة الأوقاف وقال : إن هذا يوم لن ننساه نفتح فيه قلوبنا وصدورنا لأعز ضيف .. نرحب بك يا إمام المسلمين .. وأنت إمام العلماء .. والعلماء ورثة الأنبياء .. فمرحبا بقائم مقام الأنبياء !

وتحدث الإمام الأكبر عن الأخلاق فى الإسلام وعن الأسرة والمرأة ودعوة الإسلام أتباعه إلى القوة .. والقوة فى هذا العصر هى العلم والصناعة والحضارة ..

* * *

فى اليوم السابع بدأ الإمام الأكبر يومه بلقاء موسع مع أكثر من ٣٠٠ من رجال الدين وعلماء وزارة الأوقاف تحدث فيه عن أدب الحوار فى الإسلام والاجتهاد فى الأحكام الشرعية ..

وبعدها اجتماع مع قاضى القضاة السيد خليل الرحمن وجميع القضاة قال فيه قاضى القضاة : إن هذا يوم تاريخى أن تستقبل هذه المحكمة شيخ الأزهر الشريف .. وقال إننا نتمنى أن يساعدنا الأزهر فى بيان أحكام الشريعة الإسلامية فى المسائل التى تعرض علينا وفى تدريب القضاة .. وقال : لقد بدأنا فى إعداد دائرة معارف إسلامية تضم كل أحكام ومبادئ القضاء فى التاريخ الإسلامى كله ابتداء من عصر الرسول حتى اليوم ، وستقع فى ٢٠٠ مجلد ، وشكلنا لجنة لهذا المشروع الكبير ، واتصلنا ببعض الدول الإسلامية مثل السعودية والكويت وتلقينا ردا بالموافقة على التعاون معنا فى التنفيذ ، ونحن نوجه اليكم الدعوة يا فضيلة الإمام الأكبر ليتعاون الأزهر معنا لأننا نعلم أنه لا يمكن إنجاز هذا المشروع الكبير إلا بمساعدة الأزهر .. ونرجو أن توافقوا على أن يشترك الأزهر فى هذه اللجنة .. وقد عرضت هذا المشروع الكبير لكى نجد منكم التأييد والمساعدة .

وقال شيخ الأزهر : إن دستور مصر ينص على أن الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع ، والقضاء فى مصر مستقل ولا سلطان على القضاة إلا القانون وضمير القاضى ، ووزارة العدل فى مصر لا تتدخل فى أعمال القضاة ، وللقضاة مجلس أعلى يختص بشئونهم ويتكون منهم وبرئاسة رئيس

محكمة النقض . ونحن نؤيد مشروع الموسوعة القضائية الإسلامية ومستعدون للاشتراك فيها ، ويمكنكم الاستفادة من المراجع والمكتبات وأرشيف الأزهر ودار الإفتاء ومحكمة النقض فى مصر .. بعد ذلك اجتمع الإمام الأكبر مع رئيس وزراء البنجاب ..

فى اليوم الثامن غادر الإمام الأكبر فى الصباح الباكر باكستان متجها إلى الهند ..

والتفاصيل كثيرة تحتاج إلى أضعاف هذه الصفحات ..

* * *

والخلاصة :

كانت زيارة شيخ الأزهر لباكستان بالنسبة لى تجربة رائعة ..

كنت أشعر وأنا أعيش معه فى كل لحظة أننى فى حلم ..

لم أكن أتصور أن الأزهر وشيخه لهما كل هذه المكانة وكل هذا الحب .. ما رأيته فوق كل تصور ..

ولابد أن ندرك أن ذلك يلقى علينا مسئوليات كبيرة .. ولابد أن نقوم بها ..

مصر .. ومكانتها .. وأزهرها .. وقيادتها موضع احترام يفوق الوصف .. والجميع يتطلعون إليها .. ويلتمسون عندها الفكر الرشيد .. والقيادة الحكيمة .. ولابد أن نحمد الله كثيرا على هذه النعمة .

فى الهنـد

١ مع ١٢٠ مليون مسلم

قبل أن يبدأ فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر زيارته للهند كان الاهتمام الشديد بهذه الزيارة واضحا ..

كان المقرر أن تكون الزيارة ثلاثة أيام ولكنها امتدت إلى سبعة أيام استجابة لرغبة المسئولين فى الحكومة والمنظمات الأهلية الذين أكدوا رغبتهم فى الاحتفاء بفضيلته وبالوفد المرافق بما يتفق مع مكانته الكبيرة .. وقررت الحكومة أن تكون إقامة شيخ الأزهر والوفد المرافق له فى قصر الضيافة المخصص لرؤساء الدول والحكومات .

وأظهرت الهند بكل وسيلة اهتمامها البالغ بهذه الزيارة ، وبتقديرها لمصر ، وللأزهر ، وللدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر شخصيا .

والمسلمون فى الهند أقلية تعدادها ١٢٠ مليونا .. وفى الحكومة الحالية ثلاثة وزراء مسلمين .. والإسلام فيها يرجع إلى القرن الثامن الميلادى .. وتستطيع أن تلمس أثر الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى فى كل وقت وفى كل مكان .. والهنود يحملون تقديرا واعتزازا بفترة الحكم الإسلامى وآثارها .. بقدر ما يحملون التقدير للزعيم التاريخى المهاتما غاندى الذى قاد الشعب الهندى فى عام ١٩٣٠ إلى طريق العصيان المدنى ضد الحكم البريطانى إلى أن تحقق الاستقلال .. وفى نفس الوقت تم تقسيم الهند إلى دولتين .. دولة مسلمة هى باكستان .. ودولة أخرى هى الهند الحالية .. ودخلت الهند فى حروب مع باكستان منذ عام ١٩٤٧ حتى عام ١٩٧١ ومازالت العلاقات

بين الدولتين متوترة .. وتاريخيا تولى حزب المؤتمر الوطنى القيادة السياسية على أساس علمانية الدولة من أجل الحفاظ على تماسكها وهى تضم ديانات متعددة .. هندوس .. ومسلمين .. ومسيحيين .. وسيخ .. وبوذيين .. وديانات أخرى .. وتضم قبائل وأصولا عرقية متعددة .. وتتحدث بلغات متعددة بلغت ٢٠٠ لغة مكتوبة ومنها ٦٧ لغة مستخدمة فى المدارس منها ١٨ لغة رسمية تتعامل بها الحكومة .. ومنها اللغة الانجليزية .

الهند عالم كبير .. عجيب .. وهى الآن تعيش مرحلة جديدة .. انتهت مرحلة سيطرة حزب المؤتمر .. انتهت مرحلة نهرو واندیرا غاندى .. وخسر حزب المؤتمر الانتخابات الأخيرة ، والحكومة الحالية ائتلافية من أحزاب اليسار ويسار الوسط يرأسها ديف جاودا ، وسياستها تسعى إلى إيجاد التسامح الدينى والتعايش السلمى بين الديانات بعد مراحل الصراعات الدموية بين أصحاب الديانات المختلفة .

والمسلمون فى الهند فيهم تنوع واسع .. تنوع اجتماعى وثقافى ولغوى ، وهم من أصول من مختلف أنحاء العالم .. ولذلك لا تستطيع أن تتحدث عن مسلمى الهند على أنهم مجموعة واحدة .. ويستمد أكثر المسلمين الهنود تقاليدهم من العرب ومن الأتراك والإيرانيين والأوزبكستانيين والأفغان .. وهم ينتمون إلى جماعات عرقية مختلفة .. وكان للمسلمين الهنود دور بارز فى حركة مقاومة الاحتلال وتحرير الهند من الاستعمار البريطانى .. وظهرت منهم شخصيات لامعة فى السياسة والعلوم والأدب والفلسفة .. ولا توجد دراسات تفصيلية عن الوضع الاجتماعى والاقتصادى للمسلمين الهنود مقارنة بأصحاب الديانات الأخرى غير دراسة أعدت تحت إشراف حكومى عن أوضاع المسلمين فى المدن بين عامى ١٩٥٠ و١٩٧٥ .

* * *

من هذه الدراسة نعرف أن مجموع سكان الهند فى عام ١٩٥١ كان ٣٦٠ مليون وكان عدد المسلمين ٣٥ مليونا وبعد عشرين عاما ، ارتفع سكان الهند إلى ٥٥١ مليون ، وأصبح المسلمون ٦١ مليونا .. يستخدم معظمهم اللغة الأردية وبعضهم يستخدم لغات أخرى محلية .. والمستوى العام للدخل والعمالة بين المسلمين أقل من غيرهم ، ونسبة الأمية بينهم أكبر من النسبة العامة ، ونسبتهم فى العمل فى القطاع العام المنظم أقل .. وخاصة فى الحكومة المركزية والولايات والجيش والشرطة .. وهناك جماعات إسلامية منها جماعة التبليغ ، والجماعة الإسلامية وهى تعارض الاشتراك فى النشاط السياسى ، بينما تقدم ، جماعة العلماء الهند ، صيغة سياسية بناءة لتسهيل قبول المسلمين لشرعية الدولة والمشاركة السياسية ، ولا ترى هذه الجماعة تعارضا بين استقلال الهند كدولة ومصالح المسلمين فيها .. ولذلك عارضت هذه الجماعة قيام باكستان .. ورأوا أن استمرار الهند كدولة موحدة لا يتعارض مع حصول المسلمين فيها على حقوقهم كاملة كمواطنين متساوين مع غيرهم فى الحقوق والواجبات .. هذه الجماعة شعارها : الجنسية هندى .. والديانة مسلم .. ولا تعارض بينهما . ومشاعر المسلمين الهنود قوية تجاه المسلمين فى كل أنحاء العالم .. ولذلك تجد حماسا منقطع النظير للقضية الفلسطينية والقدس .. والطرق الصوفية منتشرة فى الهند .. وحين جاء القرن السابع عشر كان المسلمون هم الأغلبية الساحقة من المواطنين .. وقد استمر حكم المسلمين للهند حوالى ثمانية قرون أثروا خلالها على الحياة الهندية بشكل شامل .. ودخلت اللغات العربية والفارسية والتركية إلى الهند مع دخول الإسلام ، وأثرت اللغة العربية تأثيرا واضحا على اللغات الهندية التى يتحدث بها المسلمون وغير المسلمين فى شمال وغرب الهند . وفى اللغة الأردية كثير من الكلمات العربية .

وفى الهند مئات الجامعات ، والمعاهد والمؤسسات الإسلامية .. كلها كانت تنتظر زيارة شيخ الأزهر .

وكانت الزيارة مليئة باللقاءات والحوارات .

كان فى برنامج الساعات الأولى من الزيارة استقبال شيخ الأزهر لوزير الصحة والأسرة السيد سليم إقبال شرفانى ، وهو مسلم ، خريج الجامعة الإسلامية فى البجار التى يسمونها أحيانا جامعة عليكرة وهو عضو فى البرلمان .. واستقبال لوزير الخارجية الذى أقام حفل غداء تكريما للدكتور طنطاوى ..

وكانت هذه هى لقاءات الساعات الأولى من زيارة الهند ، والبرنامج حافل باللقاءات والزيارات والحوارات – فى بلد – المسلمون فيه ١٢٠ مليون مسلم .. ولهم تقاليد متنوعة اجتماعيا وثقافيا ولغويا .. نتيجة تعدد وتنوع أصولهم ، وقد جاءوا من مختلف أنحاء العالم ، وينتشرون فى كل مناطق الهند .. وقد تأثروا بالتقاليد الاجتماعية والثقافية فى الهند وأثروا فى الهند تأثيرا ملحوظا .. وأول المصادر للتأثير بالنسبة للمسلمين الهنود كانت من العرب .. ومن الأتراك والإيرانيين والأوزبكستانيين والأفغان (فى شمال الهند) وإن كان معظمهم هنودا فى الأصل إلا أنهم ينتمون إلى جماعات عرقية مختلفة ويتوزعون على مهن متنوعة ، وينتشرون فى المجتمع الهندى .

* * *

ولأن الهند عاشت منذ عصورها القديمة عند مفترق الطرق جغرافيا ، كانت لها اتصالاتها مع الغرب ومع وسط وشرق آسيا ، وتأثروا بحضارات هذه المناطق ، وكان مسلمو الهند فى القرون الوسطى أهل فلسفة وثقافة وعلوم استمدوها من الإمبراطورية الإسلامية . ومع بداية القرن ١٤ أصبحت الهند

مركزا من مراكز التعليم الإسلامى ، وهم يتحدثون عن « أمير خسرو » على أنه يتساوى مع ليوناردو دافنشى بالنسبة لدوره فى عصر النهضة ، أمير خسرو أسهم فى تطوير الآلات الموسيقية ، والشعر ، والأدب واستمرت جهوده الحضارية على أيدى من جاءوا بعده .. ساهم فى تطوير اللغات رجال يذكرون منهم « ملك محمد جائس » و« قلى قطب شاه ، وفى الفلك والتكنولوجيا حدث تطور هائل فى الهند على أيدى المسلمين ، فى التعدين ، وصناعة المنسوجات ، والبنادق ، وفى الزراعة حتى أن أول مؤلف فى الزراعة يرجع تاريخه إلى القرن ١٧ كان من تأليف أحد المسلمين .. وكان الإسهام الأكبر للمسلمين الهنود فى مجال العمارة الذى تمثل فى بناء مساجد .. كل منها تحفة معمارية ، ومن بينها المسجد الجامع الذى بناه الإمبراطور المغولى شاه جيهان فى القرن ١٧ وهو مسجد لا مثيل له فى الاتساع والفخامة والدقة والجمال فى التصميم .. وإحدى معجزات الدنيا السبع فى الهند وهى مقبرة تاج محل التى بناها الإمبراطور شاه جيهان أيضا لتخليد ذكرى زوجته التى أحبها ومات حزنا عليها .. والذى بنى هذه المعجزة المعمارية كان مهندسا مسلما هو « أحمد المعمر اللاهورى » .

* * *

وفى فترة الاحتلال البريطانى بدأ المسلمون يبحثون أسباب تقدم أوربا .. وسافر عدد من مسلمى الهند إلى أوربا لجمع المعلومات .. ورحبوا متحمسين للعلوم الحديثة والتكنولوجيا وترجمة الكتب الأوروبية وخاصة فى الفلك والرياضيات والجغرافيا .. وقام العالم المسلم ، « نواب فخر الدين خان » بدور كبير فى ذلك يشبه دور رفاعة رافع الطهطاوى فى النهضة المصرية .

وكان المسلمون الهنود هم أكبر الثوار على الاحتلال ، واحتل محمد إقبال مكانا مهما بشعره الثورى فى أوائل العشرينات .. كما كان للمسلمين الهنود

دور بارز فى مجال الصحافة الثورية التى خلقت الوعى القومى والحماس لدى الشعب الهندى بأكمله .. وأنشأ الأستاذان نور الحسن وعرفان حبيب مدرسة لتخريج المؤرخين ، وشغل الأول منصب وزير التعليم ، والثانى منصب سفير ، ثم حاكم ولاية البنجاب ، ثم ولاية أوريسا .. وفى مجال أبحاث الفضاء يلمع اسم العالم المسلم الدكتور فريد الدين .. وأيضا الدكتور أ . ب . كلام .. ويلمع فى علم الأحياء العالم المسلم الدكتور عبيد صديقى .. وأسس الأستاذ حكيم عبد الحميد عددا من المعاهد والكليات منها كلية للصيدلة ، ومعهد تاريخ الطب والعلم ، ومعهد الدراسات الإسلامية .

تاريخ طويل تستمع إليه على لسان كل أستاذ مسلم تقابله فى الهند .. ويحدثك أيضا عن جذور المسلمين فى الهند .. فالمسلمون ينتمون إلى الأجناس التى ينتمى إليها الهندوس والمسيحيون والسيخ الهنود .. وهى الجنس الآرى ، والجنس الدرافيدى .. وجاءت أعداد محدودة من المسلمين من جهات مختلفة من غرب آسيا وهم « الباتان » والترك والمغول .. وجاء الأشراف من بلاد العرب كما جاء غيرهم من إيران .. واشتغلوا فى كل المهن وخاصة التدريس والخدمة العسكرية .. واندمج أكثرهم فى المجتمع الهندى وتزاوجوا وفسروا الإسلام تفسيرا متأثرا بالثقافة الهندية .. وعن طريق القدوة وخدمة الفقراء وحياة الفضيلة كسبوا قلوب الناس وحولوهم إلى الإسلام ..

هكذا شارك الإسلام فى نسيج المجتمع ، وأسهم فى صنع الحضارة الهندية على امتداد العصور .

فالمسلمون إذن ليسوا غرباء .. وليسوا أقلية .. ولكنهم هنود مثل غيرهم ..

وإن كانت هناك تفرقة ، فالتفرقة ليست للمسلمين وحدهم .. ولكن الهند عالم كبير .. ليس من السهل أن تتحدث عنه .. ولكى تحاول أن تفهمه لابد

أن تضع فى اعتبارك أن هذه الدولة مساحتها ثلاثة ملايين وربع مليون كيلو متر مربع وهى بذلك سابع دولة فى العالم من حيث المساحة .. وتنقسم إلى ٢٦ ولاية و٦ أقاليم اتحادية .. وعدد اللهجات التى يتحدث بها الناس تبلغ ١٥٦٢ لهجة .. ! وعدد اللغات المكتوبة التى تصدر بها كتب وتنشر صحف ولها أدب وشعر وعلوم تبلغ ٢٠٠ لغة مكتوبة .. وعدد اللغات المستخدمة فى المدارس ٧٦ لغة .. وعدد اللغات الرسمية التى تتعامل بها الدول تبلغ ١٨ لغة منها اللغة الإنجليزية .

فالهند ليست بلدا ككل البلاد .. هى فى الحقيقة قارة .. أو هى عالم خاص فريد مميز لا مثيل له فى العالم .. عالم ساحر وجذاب تشعر أنه يحتاج منك إلى سنين من المعايشة والدراسة لكى تقول إنك أصبحت تعرفه .. خاصة إذا عرفت أن تعداد سكان الهند الآن وصل إلى ٩٥٠ مليون نسمة ، وهى بذلك ثانى أكبر دولة فى العالم من حيث السكان بعد الصين .

أصحاب الديانة الهندوسية يمثلون ٨٣٪ من سكان الهند ، والمسلمون ١١٪ والمسيحيون ٢٪ ، والسيخ ٢٪ .

٢ رؤية الهند للإسلام

فى اليوم الأول فى المطار كان فى استقباله وزراء من الحكومة .. وبعد وصول شيخ الأزهر بدقائق استقبله نائب رئيس الجمهورية السيد ك . نارايانان وهو شخصية لها ثقلها فى الحياة السياسية وله تاريخ طويل .. فهو من مواليد عام ١٩٢١ وحاصل على ليسانس فى الادب الإنجليزى عام ١٩٤٣ ثم عمل أستاذا بنفس الكلية ، وحصل فى عام ١٩٤٨ على بكالوريوس في الاقتصاد من كلية الاقتصاد بلندن ، والتحق بالخارجية الهندية عام ١٩٤٩ وتدرج فى السلك الدبلوماسى ، ثم عمل رئيسا لجامعة جواهر لال نهرو من عام ٧٨ حتى عام ١٩٨٠ ، وشغل منصب وزير الدولة عام ١٩٨٥ ثم وزيرا للشئون الخارجية عامى ١٩٨٥ و ١٩٨٦ ، ثم وزير دولة للعلوم والتكنولوجيا والطاقة الذرية ، فهو شخصية لها تاريخ علمى وسياسى طويل ، وله مكانة كبيرة بين المثقفين والمفكرين ، ولذلك كان اللقاء بينه وبين شيخ الأزهر حوارا فكريا من طراز رفيع حول طبيعة الثقافة المصرية القديمة والحديثة وأوجه التشابه بينها وبين الثقافة الهندية فى عصورها المختلفة ، وحول التكوين الحضارى المتقارب والمواقف المشتركة ، والعلاقات القديمة جدا بين البلدين .

* * *

قال نائب رئيس الهند فى البداية : نحن نقدر الأزهر ، ونقدر دوره فى قيادة المسلمين فى العالم ، وقد تعلم فيه عدد من علماء الهند ، كما أننا نحمل تقديرا كبيرا للرئيس حسنى مبارك ولمصر ، ونرى أن الدور الذى يقوم به

الرئيس مبارك لإرساء السلام فى الشرق الأوسط هو حقيقته دور تاريخى لصالح المنطقة ، ولصالح العالم كله .

وقال له شيخ الأزهر : ونحن أيضا نقدر الهند ونعرف الكثير عن تاريخها وزعمائها وكبار مفكريها ، وعندنا فى الأزهر عدد كبير من الطلبة الهنود يدرسون حتى مرحلة الدكتوراه ، وقد منحت جامعة الأزهر الدكتوراه لرسالة عن شخصية وفكر مولانا أبو الكلام أزاد ، وهو شخصية إسلامية بارزة فى تاريخ الهند ، ورسالة أخرى عن تاريخ الهند وكفاحها .

وقال نائب الرئيس : نعم .. أعرف دور الأزهر .. لقد أيقظ العرب والمسلمين .. وشارك فى إيقاظ الهنود كذلك . مصر والهند حضارتان قديمتان .

وقال شيخ الأزهر : ونحن أيضا نقدر صداقة الهند ، والأزهر الشريف مع كل جهد لتحقيق السلام والإخاء ، وهو قاعدة للفكر الإسلامى المعتدل ، الأزهر يرفض الإرهاب .. ويرفض التخريب .. ويرفض العدوان بكل ألوانه .

وعلق نائب الرئيس : هذا حق .. التطرف والإرهاب لا يفيد الشعوب ، وتأثير الأزهر فى محاربة التطرف مهم جدا .

وأضاف شيخ الأزهر : إن الأزهر يستقبل أبناءه من جميع دول العالم ، ويعاملهم معاملة أبنائه المصريين دون تفرقة ، ويغرس فى نفوس الجميع محبة الأوطان ، والتمسك بالقيم الإنسانية والأخلاقية ، وكراهية العنف والإيذاء والعدوان على الغير .. الأزهر يؤمن بأن جميع الأديان ، وجميع العقول تريد السلام وتسعى إليه .

وقال نائب الرئيس : نعم .. نعم .. لقد رأيت كيف أن الطلبة الهنود الذين

درسوا فى الأزهر فخورون بذلك ، ويحملون اعتزازا وحبا له ، وهم فى منزلة رفيعة هنا .

وعلق شيخ الأزهر : ونحن أيضا فخورون بهم .. لأنهم من دولة تربطنا بها صداقة خاصة ، وهى دولة ذات حضارة قديمة جدا ، مصر والهند هما أقدم حضارتين عرفتهما البشرية ، وسوف نستقبل هذا العام ٢٠ طالبا على منح دراسية من الأزهر الشريف .

وقال نائب الرئيس : هذا عدد طيب .. والأزهر مؤسسة علمية كبيرة .

وقال شيخ الأزهر : نعم .. فى المعاهد الأزهرية مليون وربع مليون طالب وطالبة ، وفى جامعة الأزهر حوالى ٥٠٠ كلية للهندسة والطب والصيدلة ، والعلوم والتجارة إلى جانب كليات الشريعة واللغة العربية وأصول الدين .

وعلق نائب الرئيس : مليون ونصف مليون طالب فى معاهد الأزهر .. ! إنهم مثل تعداد دولة الدانمرك مثلا !

وسأل نائب الرئيس : وهل البنات يدخلن الأزهر ؟

وأجاب شيخ الأزهر : نعم .. الأزهر يعلم الذكور والإناث دون تفرقة .. عندنا عشرات الآلاف من الفتيات فى المعاهد والكليات ومئات يحملن الدكتوراه من جامعة الأزهر .. وعشرات يشغلن وظيفة أستاذ وعميد .. العلم لا يفرق بين ذكر وأنثى .

وقال نائب الرئيس : إن الدراسات الإسلامية فى الهند هى دراسات مهمة ، فعندنا ١٢٠ مليون مسلم ، وهم يتمتعون بحرية كاملة ، ويدرسون الإسلام .. وهناك تطورات حديثة فى هذا المجال .. وفى الهند جامعات إسلامية .

وقال شيخ الأزهر : نحن نتابع ذلك ، ونحن فى مصر لا نعرف التفرقة

بسبب الدين .. فالمسلمون والمسيحيون يعيشون معا فى بيوت احدة . ويشتركون فى التجارة والعمل ، وكل من يحمل الجنسية المصرية يتساوى مع غيره فى الحقوق والواجبات .. فلكل إنسان عقيدته .. ولا إكراه فى الدين .. والعقائد لاتباع ولا تشترى .

وقال نائب رئيس الجمهورية : لقد تأثرت الهند بثقافتكم .. وعندنا مئات الكلمات العربية .

وقال شيخ الأزهر : التأثير متبادل .. فالمثقفون فى مصر يعرفون الكثير عن الثقافة الهندية .

هكذا استمر الحوار عميقا .. وأبحر فى بحور الثقافة والفكر .. فى مودة .. وطال الحديث رغم أن نائب الرئيس كان على سفر فى الصباح الباكر لزيارة إيران ، وكانت مقررة منذ شهور .. وامتد الحديث عن أوجه التعاون المختلفة بين البلدين .

وهكذا كانت البداية .

وفى اليوم الثانى كان رئيس الوزراء فى استقباله صباح اليوم .. ورئيس الوزراء السيد هارادانا هالى ديف جودا له ثقل سياسى كبير جدا .. وهو يجمع بين منصبه وبين مهام وزراء الزراعة والشئون الداخلية والعلوم والتكنولوجيا والطاقة النووية .. وهو من مواليد عام ١٩٣٣ ، وبدأ حياته مهندسا مدنيا ، واكتسب من الهندسة الدقة فى الحسابات والقدرة على وضع تصور متكامل لما يريد أن يحققه .

وكان قبل ذلك يعمل بالزراعة قبل اشتغاله بالسياسة ، كما كان عضوا فى المجلس التشريعى منذ عام ١٩٦٢ ، وكان زعيما للمعارضة فى المجلس التشريعى لولاية كرناتكا من عام ١٩٦٢ إلى عام ١٩٧٢ . وفاز فى انتخابات ١٩٩١ فى المجلس التشريعى ، وانتخب رئيسا لحكومة الولاية فى عام ١٩٩٤

ثم فى عام ١٩٩٦ ، وانتخب بعد ذلك فى مايو ١٩٩٦ زعيما للجبهة المتحدة التى تضم ١٣ حزبا هى التى تؤلف الحكومة الهندية الحالية .

قال رئيس الوزراء لشيخ الأزهر : إن زيارتكم تقدير لنا ..ونحن نحمل تقديرا لمصر وللأزهر ولكم شخصيا .. إن التطرف فى الهند ينحسر .. وكل الطبقات وكل الأقليات تلقى من الحكومة معاملة متساوية .. والأحزاب المتطرفة لا تجد تأييدا شعبيا .. وسلاحنا هو اللا عنف .. ونحن نعمل معكم ونتعاون من أجل عملية السلام .. نريد أن يسود السلام فى الشرق الأوسط .. وأنا أعبر عن تقديرى العميق لهذه الزيارة وأرى أنها ستعطينا قوة دافعة .. وأنا أعدكم بأننا سنرعى المسلمين فى الهند وسنعطى الأقليات الحماية الكافية .. وأرجو أن تنقل تحياتنا إلى الرئيس مبارك ونحن نتطلع إلى زيارته للهند .

وقال شيخ الأزهر : إن العقلاء فى العالم كله يعملون ضد التطرف والإرهاب ، والعنف لا يحل المشاكل بل يزيدها تعقيدا ، والأزهر الشريف يعلم أبناءه رسالة الإسلام وهى التسامح والرحمة والعدل والمساواة بين البشر فى حقوق الإنسان ، ونحن نعرف الديمقراطية فى الهند ونقدر جهودكم لرعاية المسلمين .. ورسالة الأزهر هى رسالة السلام ونشر الأمان والمحبة كما أمر الإسلام ..

بعد ذلك التقى الإمام الأكبر بأساتذة اللغة العربية من مختلف ولايات الهند ومعهم أفراد الدورة التدريبية التى تنظمها الجامعة الملية الإسلامية فى نيودلهى ، وبدأ اللقاء بقراءة للقرآن الكريم بلغة عربية سليمة وترتيل جميل .. بعده تحدث رئيس الجامعة الملية .. طالب بزيادة البعثات للأساتذة الهنود للتدريب على اللغة العربية والثقافة الإسلامية فى الأزهر ، وطالب بتزويد الجامعة والجامعات المماثلة بكتب عن الإسلام باللغة العربية والانجليزية ، وعتب على الأزهر وعلى مصر لقلة الزيارات منهما إلى الهند ، وقال إن هذه

الجامعة منحت ١٥ دكتوراه فى اللغة العربية لباحثين من الهند واندونيسيا ودول شرق آسيا .

وأفاض الإمام الأكبر فى شرح مبادئ الإسلام .. وختم حديثه بالترحيب بما طلبوه ووعد بدراسة . زيادة المنح .. والزيارات .. والكتب ..

* * *

بعد ذلك كان اللقاء الكبير بين الإمام الأكبر وحشد من أكبر المثقفين والشخصيات الهندية من بينهم راجموهان غاندى حفيد المهاتما غاندى الذى يرأس مركزا للدراسات الاستراتيجية ، وسلمان خورشيد حفيد المفكر الكبير ذاكر حسين الذى بدأ الحوار بحديث عن الأزهر قال فيه : إن الأزهر جامعة الإسلام فى العالم ، ودوره معروف وموضع تقدير كبير فى العالم كله ، وشيخ الأزهر شخصية عالمية لها احترامها ومكانها العالى ، والدكتور محمد سيد طنطاوى شخصية معروفة فى العالم ، وآراؤه موضع احترام وتقدير من كل المثقفين ، وأريد أن أسألكم ونحن نعتبرك مفكرا عالميا فى المقام الأول وتمثلون العالم العربى والإسلامى .. ماذا تعلمنا من دروس فى القرن العشرين وتفيدنا فى المستقبل ؟ وكيف يعالج العالم الجروح التى أحدثها هذا القرن بالحروب والإرهاب والمؤامرات .. ؟

وأجاب شيخ الأزهر أولا بأن تقارب المثقفين على اختلاف أوطانهم ولغاتهم ودياناتهم لصالح البشرية والحضارة ، وأن العلم لا وطن له ، والأزهر يؤمن بالتطور ، والإسلام دين لكل زمان ومكان لأنه لا يتصادم ولا يتعارض مع تقدم العلم والفكر . ودروس القرن العشرين هى أن الحروب لا تحل المشاكل ، والعنف ليس وسيلة الإصلاح . ودين الإسلام يقدم حلولا للمشاكل فى إطار مبادئ أساسية هى : العدل .. والمساواة .. والتعاون على البر والتقوى

وليس على الإثم والعدوان .. والأخذ بأسباب القوة المادية والمعنوية .. واحترام الأديان لهم مالنا وعليهم ما علينا وأن أزمة البشرية فى القرن العشرين كانت بسبب ظهور دول وجماعات تريد بالقوة أن تغتصب حقوق الآخرين .. ولو أن العالم تفهم دول وجماعات تريد بالقوة أن تغتصب حقوق الآخرين .. ولو أن العالم تفهم حقيقة الإسلام الذى ينادى بالعدل حتى مع الأعداء لأدركوا قيمة العدل فى إقرار السلام والأمن للبشرية ، فالقرآن يأمرنا بالعدل ﴿ ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ وهذا هو مفتاح البشرية للقرن القادم .

وسأل سلمان خورشيد ، وهو وزير مفوض بالخارجية الهندية كيف يرى الإمام الأكبر أن يكون الإصلاح من منظوره ؟

وأجاب الإمام الأكبر : إن الإصلاح فى العالم وفى كل مجتمع على حدة ممكن بأن نسعى إلى زيادة عدد العقلاء وتقليل عدد السفهاء بالتعليم ونشر الفكر الدينى الصحيح .. والإسلام لديه حل يقوم على احترام الآخر والاعتراف بحقه فى الاختلاف .. والأمر الإلهى للمسلمين أن تكون دعوتهم للإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة وليس بأى طريق آخر .

وسأل الدكتور على محمد خسرو رئيس جامعة اليجار الإسلامية : هل من الممكن إعادة فتح باب الاجتهاد فى الفقه الإسلامى بعد أن أغلق سنوات طويلة ؟

وأجاب الإمام الأكبر : إن باب الاجتهاد لم يغلق أبدا حتى يعاد فتح أثر مرة أخرى . ومن حق علماء المسلمين الذين تتوافر فيهم شروط الاجتهاد أن يفكروا ويجتهدوا فى المسائل الجديدة التى لم يعرفها الفقهاء فى العصور الماضية ، والا فكيف يتعامل المسلمون مع كل جديد ؟ هل يرفضون كل ما هو جديد لأن الأئمة الأربعة لم يعرفوه أو أن لنا عقولا تفكر ولدينا

شروط وضوابط للاجتهاد فى الفقه نستطيع أن نتحرك فى إطارها ونقدم الأحكام التى تساير الجديد فى الحياة الإسلام لا يعرف الجمود ، والجمود يعنى التخلف .. والإسلام يدعو إلى التأمل والتفكير واستخدام العقل ؟ وأنتم تسألون عن تنظيم الأسرة والحكم عندنا لا مانع شرعا من تنظيم الأسرة مادامت هناك ضرورة تدعو إلى ذلك .. وهذه الضرورة يقدرها الزوجان .. وقد تكون ضرورة صحية أو اجتماعية أو اقتصادية أو نفسية .. ومن حيث المبدأ فالفتوى تختلف من بلد إلى بلد ومن عصر إلى عصر باختلاف الظروف .. والفتوى يجب أن تدور مع المصلحة .. والمصالح المرسلة أساس للإفتاء .. بعد الالتزام بالقرآن والسنة .. وأن باب الاجتهاد مفتوح منذ عصور الرسول ﷺ حتى اليوم .. ولكن فى أى شىء يكون الاجتهاد .. ؟ لا اجتهاد فى العقائد والعبادات أو فيما ثبت فى الدين بالضرورة .. الاجتهاد ليس فى الأصول ولكن فى الفروع .. فى الأمور الفرعية الاجتهاد سيظل مفتوحا .

* * *

وسأل مهران كريشنا من كبار المثقفين الهنود : أنتم من بلد عدم الانحياز ، وهذه الحركة لم تكن سياسة فقط ، بل كانت حركة ثقافية وكذلك حركة روحية ، وكانت قائمة على فلسفة خاصة فى رؤية العالم .. اختفى زعماء هذه الحركة .. واختفت يوغسلافيا وهى إحدى زوايا المثلث لها .. وأصبحت حركة عدم الانحياز فى خطر .. فقدت الأهداف .. هل تستطيع مصر والهند القيام بدور لإحياء هذه الحركة .. وماذا يستطيع الأزهر أن يقدم لذلك ؟

وأجاب شيخ الأزهر : لست سياسيا لأتحدث عن هذه الحركة من هذه الزاوية ولكنى أنظر إليها من راوية إسلامية فأقول : إنها تحقق خير الشعوب

وحريتها ، وبالتالى فإن الإسلام يؤيدها .. لأنها تقف فى وجه الظلم بكل ألوانه .. وتساند حقوق الشعوب المظلومة ..وتجمع الشعوب الصغيرة لتحقيق الخير لها ، والإسلام يؤيد هذا الاتجاه ويؤيد كل ما يحقق الحرية والمساواة والسعادة للبشر ويرفع عنهم الظلم والاستغلال بكل ألوانه .

وسأل سفير سابق : إن التعليم محرم على المرأة باسم الإسلام .. هل يفرق الإسلام بين الذكر والأنثى .. ؟

وأجاب شيخ الأزهر : إن شريعة الإسلام لا تفرق بين الذكر والأنثى فى التعليم والرسول يأمرنا « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » فالذين يمنعون تعليم الإناث باسم الإسلام مخطئون ، وحق العمل للمرأة والرجل ، والمرأة لها مكانة فى الإسلام لا تقل عن مكانة الرجل ، وفى التاريخ الإسلامى سيدات شاركن فى الحياة .. الشرط هو الالتزام بما أمر الله من أخلاق وسلوك المرأة ..

وسأل أستاذ من جامعة جواهر لال نهرو : كيف ينظر الإسلام إلى صراع الحضارات .. ؟

وأجاب شيخ الأزهر : هناك فرق بين الدين والحضارة ..الحضارة إطار واسع قد تشمل ديانات متعددة .. والدين أيضا قد يشمل حضارات متعددة .. الدين ثابت والحضارة متغيرة .. العلم يتقدم ويتغير ومبادئ الدين لا تتغير .. وكل حضارة تقوم على العدل والمساواة بين البشر ورفض الظلم والتخريب والفساد هى حضارة يقرها الإسلام .. ولذلك نرى أنه يمكن أن يكون هناك تعاون بين الحضارات القائمة على المبادئ الأخلاقية ولا يقوم بينها صراع ..

وقال كاهن بوذى جاء خصيصا للقاء شيخ الأزهر : إن فى الهند مسلمين كثيرين .. والمسلمون فى الهند يعارضون تعليم البنات ..

وعلق شيخ الأزهر : إن من يعارض تعليم البنات جاهل بتعاليم الإسلام ،

ونحن فى الأزهر لدينا معاهد أزهرية للبنات مثل معاهد البنين وكليات جامعة الأزهر فيها البنات والبنون .. ولدينا عشرات من السيدات يشغلن وظيفة أستاذ فى جامعة الأزهر فى مختلف التخصصات : فى الطب والصيدلة والهندسة والعلوم والتجارة والشريعة .. ولدينا سيدات كثيرات يشغلن منصب عميد كلية .فكيف يقال إن الإسلام يمنع تعليم الإناث ؟ ..

وسأل أستاذ فى جامعة رحمانى : هل يسمح الإسلام بتغيير المجتمع بالقوة ؟

أجاب شيخ الأزهر : إن الإسلام يعطى الشعوب الحق فى استخدام القوة للتحرر من الاستعمار .. ويحارب استخدام القوة المتمثلة فى تخريب المجتمع والتطرف والقتل والرشوة .. فالذين يقتلون غيرهم باسم الشريعة الإسلامية هم قتلة .. وواجب علماء الإسلام أن ينشروا الفضائل وأولها فضيلة التسامح وعدم التعصب .. فكل الناس من أب واحد وأم واحدة .. ونحن فى مصر لا نفرق بين المصريين على أساس العقيدة الدينية ، والمبدأ عندنا أن كل من يحمل الجنسية المصرية هو مصرى له ما لغيره من حقوق وعليه ما على غيره من واجبات ..

أما العقائد فهى علاقة بين العبد وربه ، وكل إنسان له كامل الحرية فى أن يعتنق العقيدة التى يراها ويحاسبه الله على الخطأ والصواب فى الآخرة ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ لأن العقائد لا تباع ولا تشترى .. والإكراه فى الدين لا يولد مؤمنين ولكن يولد منافقين ، ومبدأ الإسلام (لا إكراه فى الدين) .

وسأل أستاذ فى جامعة كيرالا : هل هناك تعارض بين الدين والقومية ؟

وأجاب شيخ الأزهر : ليس هناك تعارض .. فالمسلم الهندى هو مسلم وهو هندى فى نفس الوقت .. والمسلم المصرى هو مسلم وهو مصرى فى نفس الوقت .. والإسلام يفرض عليه التزامات ، والانتماء الوطنى يفرض عليه

التزامات ، ولا تعارض بين الاثنين . وكذلك لا تعارض بين أخوة المسلمين في كل الأوطان ، وأخوة أبناء الوطن الواحد من مختلف الديانات .

وسأل أستاذ في الجامعة العربية : لماذا لا يقوم الأزهر بجهد خاص يليق بمكانته بعقد ندوة عالمية تجمع المفكرين من مختلف الاتجاهات ومختلف الدول ليبحثوا كيف يمكن تخفيف العدوان في العالم .. ؟

وأجاب شيخ الأزهر : هذه فكرة جديرة بالدراسة .. ونحن في الأزهر نعلم أبناءنا الاعتدال ورفض التطرف والعدوان « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » وواجب كل مثقف إن كان مثقفا حقيقة أن ينشر الفضائل الأخلاقية ويدعو إلى العدل والتسامح .. ولكن الناس في زماننا لا تنقصهم معرفة الحق ، لأن الحلال بيِّن والحرام بيِّن ، ولكن ينقصهم العمل .. ينقصهم أن يتجمعوا ويعملوا من أجل إحقاق وإبطال الباطل .. فنحن نحتاج إلى العمل ..

وقال راجموهان غاندى : نشكركم يا فضيلة الإمام الأكبر لأنكم أجبتم بوضوح عما لدينا من أسئلة ..

في اليوم الثالث زار الإمام الأكبر جامعة حمدار في منطقة قطب منارة على بعد عشرين كيلو مترا من نيودلهي ، وكان في استقباله راعي الجامعة ومؤسسها حكيم عبد الحميد وقد أنشأها بماله الخاص بكل ما فيها من كليات للطب والهندسة والتجارة والصيدلة ومساكن للطلبة وملاعب وحدائق ومطاعم ومكتبات .. ومازال — وهو في السبعين من عمره — يقدم لها الدعم العلمي والأدبي .. وقال الشيخ الجليل في كلمة طويلة للترحيب بشيخ الأزهر : إن الدكتور طنطاوى لا يحتاج إلى تعريف فهو شخصية مشهورة عالميا بعلمه وبآرائه المتفتحة ، ونحن نتابع مقالاته في الصحف ، ونعتز بتفسيره للقرآن الكريم ، ونشعر بالسعادة لما يعلنه من آراء ، فهو يقدم الإسلام للعالم في صورته الحقيقية النقية ، والدكتور محمد سيد طنطاوى مجاهد للدفاع عن

الإسلام ضد خصومه ، والأزهر له أثر كبير فى العالم المعاصر ، وقد قدم علماء خدموا الإنسانية على مر العصور ، وعندما نتطلع إلى فهم ومعرفة الإسلام فإننا نتطلع إلى الأزهر ..

هكذا كانت صورة الأزهر فى الهند ، وصورة شيخ الأزهر ..

وتحدث رئيس الجامعة فقال : إن هذه الجامعة تضم ضمن كلياتها كلية للدراسات الإسلامية واللغة العربية وفيها مخطوطات إسلامية نادرة .

وقال مؤسس الجامعة : إننا نرجو مساعدة الأزهر لهذه الجامعة .. وهذه الزيارة قصيرة جدا ولكنها زيارة تاريخية ..

ورد الإمام الأكبر بأن الأزهر على استعداد للتعاون .

ودار حوار حول احتياجات الجامعة .. وتفقد شيخ الأزهر الكليات والمكتبات والتقى بمجموعة من الأساتذة والدارسين .

* * *

واستقبل شيخ الأزهر بعد ذلك وزير الداخلية الهندى .. قال الوزير : إن الأزهر له مكانة كبيرة فى العالم وكذلك فى الهند .. وله تأثير كبير على المسلمين فى كل مكان وبخاصة فى الهند .. ولذلك فنحن نعتبر شيخ الأزهر زعيما روحيا عالميا .. ونحترم موقفه من رفض الإرهاب والعنف وفى نشر الفكر المعتدل ..

وأجاب شيخ الأزهر : عن دور الأزهر هو حماية الإسلام من أعدائه ومن المسلمين الجاهلين بحقائق دينهم .. والإرهاب لا يمكن أن يكون دعوة دين من الأديان .. والعقيدة الإسلامية السليمة ترفض الإرهاب والقتل والعنف ، ولابد أن تتكاتف الجهود لنشر الدين الصحيح ..

وقال الوزير : إن مصر لها فى الهند تقدير خاص ، وعبد الناصر شخصية لها احترامها عندنا ونقدر كفاحه ضد الاستعمار والدفاع عن حقوق

الشعوب .. ونقدر دور الرئيس مبارك فى السلام والتنمية .. وإن زيارتكم للهند مهمة جدا .. وتبادل الزيارات يوطد العلاقات بين البلدين ويقوى الجسور .. وفى الهند مظاهر تؤيد حقوق الفلسطينيين ، فالشعب فى الهند يعايش مشاكل العرب ويتعاطف معهم ، ونرى أن التعاون بين مصر والهند يجب أن يزداد فى كل الميادين .. ونحن سعداء لأن آراءكم تلقى احتراما كبيرا فى الهند .. ونرجو أن يزداد تعاون الأزهر مع الجامعات والمؤسسات الإسلامية فى الهند .

وأقام وزير الداخلية حفل غداء ضم أكثر من ٢٠٠ من كبار الشخصيات والقى فيه كلمة ترحيب استمرت عشرين دقيقة فيها حرارة مست القلوب ..

بعدها لقاء مع أعضاء السفارة المصرية فى الهند وإجابات عن أسئلتهم ..

ثم لقاء مع رئيس وأعضاء دار العلوم بجامعة ديوبند .

ودار الحوار حول آراء شيخ الأزهر فى تعليم وعمل المرأة ، وتنظيم الأسرة ، والخلافات الفقهية ، والتشدد فى الفتوى والتضييق على الناس بجعل كل شىء حراما ، وعن موقفه من التعصب باسم الدفاع عن الشريعة ، والتزام الإسلام بملابس معينة ، وموقف الإسلام من التقدم العلمى والحضارى ..

وبعد ذلك لقاء مع رئيس المحكمة العليا السيد أحمد ، وفى هذا اللقاء طلب رئيس المحكمة العليا الاستعانة بآراء الأزهر فى قضايا فقهية وخلافية يحتاج فيها إلى الاستنارة بالأزهر وخاصة فى قضايا الأحوال الشخصية .. ورحب الإمام الأكبر بذلك واتفقا على تنظيم ذلك ..

* * *

وفى اليوم الرابع طار الإمام الأكبر إلى مدينة اجرا بطائرة خاصة وضعتها حكومة الهند تحت تصرفه لانتقالاته الداخلية ، والتقى فيها بعلماء المسلمين ،

وتصادف وجود مؤتمر يضم ٤٠٠ أمريكى طاروا إلى اجرا لدراسة الرياضة الروحية الهندية ، وحين علموا بوجود شيخ الأزهر فى الفندق طلبوا اللقاء به ورحب بذلك .. وكان لقاء فريدا .. والأسئلة عن موقف الإسلام من غير المسلمين هل يحاربهم أو يتعايش معهم .. وعن الحوار بين الأديان .. وعن رحلة شيخ الأزهر إلى أمريكا وإيطاليا ولقائه مع بابا روما ..

قال لهم الإمام الأكبر إن كل الأديان السماوية نزلت لسعادة البشرية وإقامة العدل ، ودين الإسلام قائم على عبادة الله وحده ، وكل مسلم لابد أن يشهد أن محمدا رسول الله ، وأن المسيح عيسى رسول الله ، وأن النبى موسى رسول الله ، لا نفرق بين أحد من رسله . ونحن نعترف بكل الأنبياء من إبراهيم حتى محمد دون تفرقة .. وكل فضيلة يؤيدها العقل السليم يؤيدها الإسلام .. الصدق .. الأمانة .. القول .. الرحمة .. الوفاء بالعهود .. السعى إلى ما فيه خير الغير .. ولكن الغرب غير منصف فى عرضه للإسلام .. هناك كُتاب ومفكرون غربيون أنصفوا الإسلام لأنهم فهموه فهما صحيحا .. ولكنهم قلة .. ولعل السبب أن بعض المسلمين يرتكبون الشرور والجرائم باسم الإسلام .. ولكن ذلك ليس غريبا على الغرب .. ففى الغرب مسيحيون ويهود يرتكبون جرائم وأعمالا سيئة .. ومع ذلك فنحن كمسلمين لا نحكم على كل المسيحيين بأعمال البعض .. ونحن نعرف أن كل جماعة من الناس فيهم العقلاء وفيهم السفهاء .. فلماذا تحكمون على الإسلام وتعممون الحكم على كل المسلمين بأفعال قلة قليلة منهم خارجة على العقل والأخلاق والقانون ولا تفهم الإسلام على حقيقته .. ؟

وقال لهم الإمام الأكبر : إن مشكلتنا عن الغرب أن بعض الباحثين يأخذون آراء بعض القدماء على أنها هى الإسلام .. ويأخذون من مصادر فرعية .. أو يحكمها الهوى .. أو معادية . أو غير معتمدة .. نحن نطالب الغرب أن يأخذ الإسلام من مصادره الأصلية من الكتب المعتمدة وهى معروفة لمن يريد

أن يصل إليها .. ونحن مستعدون لتقديم العون فى ذلك ..وهل من المعقول أن يأخذ باحث غربى عن كتاب من تأليف شاب لم يحصل على تكوين إسلامى وعلمى صحيح .. وليست لديه دراية بالمراجع الأصلية .. أو الأفضل أن يرجع إلى الأزهر وهو المؤسسة المعبرة عن حقيقة الإسلام أو عن جامعة الأزهر وفيها خبرة علماء الشريعة ؟ هل من المعقول أن يأخذوا المفاهيم الإسلامية من المنحرفين الذين يقتلون ويعتدون ويفسدون باسم الإسلام ؟ كل ما نرجوه هو أن يكون الكتاب والباحثون الغربيون محايدين ومنصفين فى بحثهم وعرضهم ومناقشتهم للإسلام .. وأبواب الأزهر مفتوحة لكل من يريد أن يسأل .. وهذا رقم تليفونى ومستعد للإجابة عن أى سؤال ولو جاءنى من شخص واحد .. وإذا أراد الرد مكتوبا فنحن نقوم بذلك .. فقط نطلب الإنصاف والحياد وعدم التحيز ضد الإسلام وإلصاق تهم بالإسلام ليست فيه .

وبعد أن استمعوا إلى الاجابات سألوا : هل يمكنهم زيارة القاهرة للالتقاء بشيخ الأزهر ومعهم مجموعات أخرى ؟ ورحب بهم شيخ الأزهر .. وقال منظم الرحلة – وهو يهودى – إن هذا اللقاء ترك فى نفسه أثرا كبيرا .. وإنه يود أن تتاح الفرصة لأعداد كبيرة للاستماع إلى آراء شيخ الأزهر ليعرفوا الإسلام على حقيقته .. لأن صورة الإسلام مشوهة فى العالم بسبب جماعات الإرهاب ..

وفى الفجر كانت الطائرة الخاصة تحلق فى طريقها إلى حيدر آباد وكان فى وداع شيخ الأزهر حاكم الاقليم وكبار المسئولين وحشد من المسلمين ..

* * *

فى اليوم الخامس أدى فضيلة الإمام صلاة الجمعة فى مسجد مكة وهو أكبر مسجد فى حيدر آباد .

من المستحيل وصف الاستقبال ..

أكثر من مليون مسلم كانوا فى المسجد ..

استمعوا .. والتفوا حول الإمام الأكبر حتى أصبح مستحيلا رؤيته .. ولم تعد قوة الأمن قادرة حتى على الاقتراب منه ..

وكانت لحظات تدفع الدموع فى العيون ..

لم يكن على الخاطر إلا مبدأ الإسلام « إنما المؤمنون إخوة » ..

ولو أن هذا المشهد تم تصويره بالفيديو لما صدقه أحد ..

بعدها قام بزيارة للجامعة العثمانية وهى جامعة تدرس الشريعة والعلوم الإسلامية واللغة العربية وتمنح البكالوريوس والماجستير والدكتوراه . وكان المطلب الأساسى هو طلب مساعدات علمية من الأزهر وكتب وأساتذة .

واستقبل الإمام الأكبر حاكم الولاية وكان الحديث وديا والترحيب حارا .. وسأل الحاكم الإمام الأكبر عن لقائه مع المثقفين فى نيودلهى ، ونقل إليه شعور السعادة الذى ساد المدينة بعد حديثه فى مسجد مكة لجموع المسلمين ، وقال فى النهاية : ليتكم تزورون الهند كثيرا .. فهذا يفيد البلدين جدا ..

وبعدها استقبل رئيس وزراء الاقليم الذى يضم ٧٠ مليونا ، والمسلمون يمثلون ٤٠٪ من السكان .

بعد ذلك زار الإمام الأكبر الجامعة النظامية التى أعدت استقبالا ضخما ضم الآلاف من الأساتذة والطلبة وشيوخ المسلمين ..

واستمر الحوار ساعتين ..

كان الإرهاق باديا على الشيخ لكنه لم ينته من اللقاء إلا بعد أن أجاب عن كل سؤال ، ووقف إلى جانب كل من أراد أن يلتقط صورة معه للذكرى ..

وفى الفجر كانت الطائرة الخاصة تحلق فى الطريق إلى بومباى ، كان فى

الوداع حاكم الاقليم ووزير التعليم الذى رافق الشيخ فى كل تحركاته وهو مسلم .

فى اليوم السادس قابل الإمام الأكبر الدكتور رفيق زكريا وهو من الشخصيات المعروفة فى المدينة وكان وزيرا ، وزار مصر عام ١٩٧٥ وله مؤلفات للدفاع عن الإسلام .

وأقام حاكم الولاية حفل غداء كبيرا حشد فيه كل الشخصيات الكبيرة .

وأدى الإمام الأكبر صلاة العصر فى أكبر مساجد بومباى لأهل السنة وبعد ذلك زار طائفة البهرة الشيعية ، ثم لقاء مع محررى الصحف فى الولاية ، ثم لقاء مع طلبة وأساتذة جامعة مهارا شترا فى مومباى .

قال رئيس الجامعة : لا شك أن هذا اليوم سيسجل فى تاريخ الهند لأن زيارة شيخ الأزهر حدث مهم ننتظره منذ سنوات طويلة .. وهناك شيوخ عظام من الهند تعلموا فى الأزهر .. والأزهر هو صاحب الفضل الأكبر على علماء المسلمين فى العالم وفى الهند .. والمسلمون فى الهند وفى العالم كله ينظرون إلى الأزهر على أنه المرجعية العليا فى شئون الشريعة .. وإن الملايين من مسلمى الهند يرفعون رؤوسهم بالفخر لزيارتكم لهم .

وقال الإمام الأكبر فى الحشد الكبير : إن الله خلق الناس لعبادته ، والأنبياء رسالتهم أن يخرجوا الناس من ظلمات الجهل إلى نور العلم ، والإسلام هو دين العلم ، كما هو دين المساواة والاخاء بين البشر ، وهو دين السلام وهو اسم من أسماء الله ، وغير المسلمين لهم حقوق متساوية مع المسلمين ماداموا لا يعتدون على المسلمين (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم) والشريعة الإسلامية تسوى بين الرجال والنساء فى أمور كثيرة لأنهم من أصل واحد ، والإسلام يسمح بالاجتهاد فى الأمور الفرعية التى لا تمس الأصول الثابتة ، والإسلام كعقيدة لا يتعارض مع الوطنية والقومية ، والخلافة ليست شرطا

من شروط الإسلام ، وللمسلمين أن يختاروا نظام الحكم الذى يرضيهم ويحقق لهم الأمن والعدل والحرية والمساواة والكرامة .. فالإسلام لا يحدد شكل الحكم ولكنه يحدد جوهر الحكم ..

* * *

إن زيارة شيخ الأزهر للهند حدث مهم لابد أن نتوقف عنده . لنفكر كيف يمكن أن يؤدى الأزهر رسالته خارج الحدود ، فى عالم يتشوق إلى معرفة الإسلام الصحيح ، ولابد أن ندرك أن زيارات شيخ الأزهر أكثر أهمية من زيارات المسئولين السياسيين .. والمسئولون السياسيون يتصلون بالمسئولين السياسيين فقط .. أما شيخ الأزهر فإن اتصاله وتأثيره يصل إلى الملايين ..

لقد أدركت من هذه الزيارة أن الأزهر قيمة كبيرة .. أكبر مما نتصور ..

وأن شيخ الأزهر ، الدكتور محمد سيد طنطاوى ، قيمة كبيرة يتمتع بالاحترام فى كل مكان .. وأفكاره موضع تقدير من كبار المثقفين .. وعامة الناس .. فى كل أنحاء العالم .. وإنه قيادة فكرية مؤثرة فى المسلمين وفى غير المسلمين أيضا ..

وهذا من فضل الله علينا .

فى ألمانيا

١ الوجه الآخر للإسلام

مظاهر الترحيب بفضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى فى ألمانيا فاقت الوصف ..

كانت زيارة تاريخية بمعنى الكلمة .

فهو أول شيخ للأزهر يزور ألمانيا .. وفى ألمانيا تقدير للإسلام لا تخطئه العيون .. ففى كل جامعة قسم للدراسات الإسلامية .. وأساتذة ألمان تخصصوا فى العلوم الإسلامية وترجمة التراث الإسلامى إلى اللغة الألمانية ، وعدد كبير منهم يجيد اللغة العربية حتى من الشباب .

وهو – فى نظر الألمان – الوجه الآخر للإسلام .. الوجه المضىء المشرق الذى يمكن للعالم أن يحترمه وأن يتعامل معه ..

وهو كما قالوا عنه ، صاحب مدرسة فى تجديد الفكر الإسلامى .. مدرسة تقوم على العقل ، وتؤمن بالتطور ، وتتسع دائرة الفهم والتفاهم عنده حتى تسع العالم كله .

لسنوات طويلة كان الوجه الأسود الكئيب للإسلام هو الذى يطل على ألمانيا .. الإرهاب .. والتعصب .. وضيق الأفق .. ورفض التقدم .. والجمود .. والعداء للآخر .. وكان هذا الوجه الكئيب يقدم نفسه على أنه هو الإسلام .. حتى ساد الظن بأنه فعلا هو المعبر الحقيقى عن جوهر الإسلام ..

ومنذ كان فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى مفتيا ، بدأ اهتمام الدوائر العلمية والجامعات الألمانية بتتبع أفكاره ورأوا فيه تجديدا لفكر الإمام محمد عبده ومدرسته بما يتلاءم مع القرن العشرين .. وبدأ عدد من المستشرقين وأساتذة الجامعات يزورونه ويناقشون معه الأسانيد الشرعية التى أصدر على أساسها الفتاوى التى أعادت « الاجتهاد » مرة أخرى ، بعد أن ساد فهم مغلوط لسنوات طويلة بأن باب الاجتهاد أغلق ولا يجوز فتحه أبدا إلى يوم القيامة ، فلا تبديل ولا تغيير لأقوال وأحكام الرجال الذين عاشوا فى عصور الإسلام الأولى مهما اختلفت الظروف .

وقبل أن تأتى هذه الزيارة كانت صورة الإسلام فى الغرب عموما قد وصلت إلى درجة الصفر ، أو كادت .. وأصيب الغربيون بنوع من الحساسية من الإسلام والمسلمين حتى تصور البعض أن الإسلام هو الخطر القادم على الغرب ، وبدأت تظهر صيحات التحذير من هذا الخطر الذى يهدد الحضارة والتقدم الإنسانى ..

وفى هذا الجو جاءت الدعوة الرسمية التى وجهتها الحكومة الألمانية إلى فضيلة الإمام الأكبر وأرادت بها أن تعكس أولا تقديرها للإسلام كدين ، وللأزهر كمؤسسة عريقة يزيد عمرها على ألف عام تمثل منارة للفكر الإسلامى المعتدل ، وأرادت بالإضافة إلى ذلك أن ترى هذا الرجل الذى يطرح على العالم رؤية جديدة مختلفة عن الرؤية الكئيبة السائدة .. رؤية يظهر فيها الإسلام دين للعدل .. والسلام .. والمساواة .. وقوة للبناء لا للهدم .. للحياة لا للقتل .. لاحترام الإنسان وليس لإهدار حقوقه .

وفى هذا الجو جاء الاهتمام الرسمى والأهلى .

الاستقبال كان على مستوى الرؤساء ..

والبرنامج الحافل كان يعكس الرغبة فى الاستفادة بكل دقيقة من أيام الزيارة فى الاستماع إلى الشيخ والتعرف على آرائه .. وكان تلبية لرغبة جهات وهيئات كثيرة أرادت أن تلتقى بالشيخ وتستمع إليه .

وكان اللقاء مع رئيس ألمانيا وديا .

فى برلين شملت لقاءات الإمام الأكبر لقاءات ودعوات مع رئيس الجمهورية الدكتور رومان هيرتسوج ، ورئيس برلمان ولاية برلين البروفيسور هازه ، وعمدة برلين رئيس حكومة الولاية السيد ديبجين ، ومحادثات مع المستشار السابق هيلموت شميت ، وفى بون شمل البرنامج لقاء مع وزير الخارجية الدكتور كلاوس كينكل وزيارة إلى أكاديمية الملك فهد ، وزيارة إلى المركز العلمى وجمعية الصداقة العربية الألمانية ، ومناقشات مع نخبة من العلماء والأساتذة والمفكرين فى بون ، ولقاءات صحفية وتلفزيونية ، وزيارة لمؤسسة كونراد اديناور .

وفى مدينة براونشفايج كانت حكومة ولاية سكسونيا السفلى قد أعدت برنامجا حافلا شمل زيارات ولقاءات فى مكتبة الدوق أوجست ، ومباحثات مع وزيرة العلوم والثقافة .

أما فى مدينة فولفينبول كان أهم مافى البرنامج اشتراك الإمام الأكبر فى ندوة رفيعة المستوى حول موضوع « أوروبا والعالم الإسلامى فى تحديات وأبعاد الجوار الصالح » وأشرف على هذه الندوة مفكر كبير هو البروفيسور فان ايس الأستاذ فى جامعة توبنجين . وناقش الإمام الأكبر الدكتور نيفونر حول موضوع التسامح عند المسلمين .

وفى فرانكفورت كان البرنامج المزدحم يشمل زيارة لمقر الرابطة

الإسلامية بالمدينة ، ومحادثات مع رئيس الرابطة السيد عثمان أوتزاى ، ومع الأمين العام للرابطة الدكتور راينر البيرت والمشرف العام السيد بكير البوجا .

وأدى الإمام الأكبر صلاة الجمعة فى مسجد السلطان سليم فى فرانكفورت والتقى مع جموع المسلمين ، كما التقى فى مقر رئاسة الكنيسة الإنجيلية مع الرئيس الكنسى العام البروفيسور شتاين أكر ، والتقى أيضا مع أعضاء حلقة الدراسات الإسلامية التابعة للكنيسة الإنجيلية فى هسن وناساو ، والتقى أخيرا مع ممثلى حلقة دراسية عن الإسلام يشترك فيها مجموعة متميزة من الدارسين الإنجيليين يشرف عليهم القس المصرى الأصل الذى يعيش فى المانيا منذ عشرين عاما الدكتور ثروت قادس وهو حاصل على الدكتوراه من أمريكا ومن المانيا فى الدراسات الإسلامية .

هكذا كان برنامج الإمام الأكبر .. مزدحمًا من الصباح إلى المساء .. ولم يتخلل البرنامج لحظات للراحة .. وازدادت المشاغل بالوفود التى كانت تأتى لزيارة الإمام الأكبر من المصريين والعرب والمسلمين والألمان ، ولم يكن هناك بد من اقتطاع دقائق للقائهم .

لم أكن أتصور أن زيارة شيخ الأزهر إلى ألمانيا يمكن أن تكون بكل هذا الاهتمام والنجاح .. ولو كان الأمر بيدى لطلبت من الإمام الأكبر أن يطوف بدول العالم ليقدم إليهم الصورة الحقيقية للإسلام قبل أن تستقر فى أذهان المفكرين ورجال الإعلام الصورة المشوهة عن الإسلام والتى تجعل العالم يتخوف منه .

هذه الزيارة اثبتت أن الغرب ليس عدوا للإسلام .. وكل ما فى الأمر أن الغرب ضحية الصورة المزيفة عن الاسلام التى قدمها الإرهاب بفكره وجرائمه ..

بل إن هذه الزيارة أثبتت أن الغرب يريد أن يعرف الاسلام على حقيقته .. ويسعد حين يرى أن الإسلام دين عقل وعدل وتقدم ويمكن التفاهم معه وفيه من الفضائل والمبادئ ما يستحق الدراسة والفهم ..

أثبتت هذه الزيارة أن المسلمين هم المخطئون فى حق أنفسهم ، لأنهم لم يقدموا دينهم إلى العالم كما يجب ، وأن رجلا واحدا فى مثل علم وثقل الدكتور محمد سيد طنطاوى يستطيع أن يكون سفيرا فوق العادة للإسلام وللعالم الإسلامى مبعوثا إلى العالم الغربى يشرح له ويوضح الحقائق بمنطق هادئ يخاطب العقول .. ويستند إلى الواقع وحقائقه .. ويفتح قلبه وعقله لفهم ما لدى الآخر والتفاعل معه ..

ولقد شاء حسن حظى أن أصحب الدكتور طنطاوى فى زياراته إلى الولايات المتحدة ، وباكستان ، والهند ، ثم ألمانيا ، لكى ألمس بنفسى أن المسلمين فى العالم يتطلعون إلى الأزهر باعتباره قلعة الاسلام الحصينة ، لكى يدافع عن الاسلام ويدفع عنه هجمات أعدائه الذين يشوهون نقاءه بادعاء أنهم أصحاب الحق فى التحدث باسمه .

وليس سهلا أن أنقل كل مادار من حوارات .. ولكن قد أستطيع أن أقدم فى سطور مختصرا لبعض هذه الحوارات ..

ففى الحوار مع السيدة بربارا يون المفوضة لشئون الأجانب فى ولاية برلين قالت إنها كمسئولة عن الأجانب تجد صعوبة فى تقديم الخدمات للمسلمين .. أولا لأنهم يعيشون فى مناطق متباعدة ومتفرقة ، وينشئون مساجد صغيرة فى أحياء لا يسكنها مسلمون كثيرون ، ومع ذلك فهم حريصون على استخدام مكبرات الصوت بأصوات مرتفعة جدا للأذان واذاعة الصلوات ، والمجتمع الألمانى لم يتعود على الأصوات العالية ، وغير مسموح

بمكبرات الصوت لأى سبب ، واستخدام مكبر الصوت بهذه الصورة غير مجدٍ لأنه يصل إلى سكان الحى وهم غير مسلمين أكثر مما يصل إلى مسلمين .. ولذلك تحدث مشاكل ويتقدم السكان بشكاوى ، وتجد السلطات الالمانية حرجا لأنها ملزمة بتنفيذ القانون والنظام العام السائد فى البلاد ، ولا تريد فى نفس الوقت الاعتداء على حرية العبادة .. فهل لدى شيخ الازهر حل لهذه المشكلة .. ؟

وكانت البداية تعكس حساسية الالمان ورغبتهم فى عدم ايذاء مشاعر المسلمين ، وكان رد شيخ الازهر أن من حق غير المسلمين أن ينعموا بالهدوء الذى تكفله لهم قوانين البلاد ، ومن واجب المسلمين أن يرفعوا الأذان بصوت منخفض أو بدون مكبرات صوت .. لاسيما وأوقات الصلوات معروفة .. رفع الأذان واجب شرعا ولكن مكبرات الصوت ليست واجبة شرعا .. والواجب على المسلم ألا يجعل غير المسلم يتأذى من أدائه للشعائر لكيلا تكون موضع نفورهم ..

وكانت المشكلة الثانية هى أن المسلمين يريدون انشاء مآذن يزيد ارتفاعها على الارتفاعات المسموح بها .. وهناك أسباب أمنية تجعل السلطات الالمانية تمتنع عن التصريح ببناء هذه المآذن .. فهل ارتفاع المئذنة له كل هذه الاهمية فى الاسلام أو فى صحة الصلاة .. ؟

وكان السؤال غريبا ، ولكن هكذا يفكر بعض المسلمين فى المانيا ، ويجعلون الالمان يتساءلون : أهذا هو الإسلام .. ؟ وكان رد شيخ الازهر أن المسجد تؤدى فيه الصلوات سواء كانت له مئذنة أو كان بدون مئذنة ، والمسلمون يستطيعون أداء الصلوات سواء كانت هناك صلوات أو لم تكن .. والاسلام لا يُفهم بهذه الأمور الشكلية .. الاسلام دين قلوب .. مادامت

القلوب مؤمنة ومخلصة فى العبادة فهذا أهم من استخدام أصوات عالية أو رفع المآذن إلى أقصى ارتفاع .. المهم هو كيف يصلى المسلمون ؟ .. هل يحسنون الصلاة ؟ .. هل يقبلون على الله بقلوبهم أولا ؟ ..

وقالت السيدة بربارا جونز إن فى برلين ٢٢٠ الف مسلم ، أكثرهم من الاتراك ، ويليهم فى الكثرة المهاجرون من البوسنة ويبلغ عددهم ٢٠٠ الف مسلم ، وفى برلين مدرسة خاصة إسلامية تعلم أبناء المسلمين فى المراحل الابتدائية باللغة الالمانية وقد أثارت جدلا فى البداية لأنها كانت أول مدرسة إسلامية ولكنها بعد ذلك حصلت على ترخيص وأصبح من حقها الحصول على دعم من الدولة ، وفى برلين ٤٠ مسجدا صغيرا معظمها أقيمت فى مبان قديمة تم تجديدها ..

ولكن المسلمين فى برلين يثيرون قضايا خلافية تسبب التوتر مع السلطات ، من ذلك أن عملية الذبح فى المانيا تتم بعد تخدير الماشية ، ويقول المسلمون إن ذلك يجعل الذبح غير شرعى مع أنهم يذكرون اسم الله عليها حين يذبحونها .. فهل هذا حرام .. ؟

وقال شيخ الأزهر إن العبرة ليست فى التخدير أو فى وعى الماشية ساعة الذبح ... المهم أن يكون الذبح بقطع الرقبة وأن يسيل الدم من الذبيحة ووفقا للشروط التى قررها الفقهاء ولابد من ذكر اسم الله على الذبيحة .. ولا يهم أن يكون الذى يقوم بالذبح مسلما ، لأن طعام الذين أوتوا الكتاب حلال للمسلمين بنص القرآن .

مشكلة أخرى للمسلمين .. يريد المسلمون أن تكون لهم مدافن خاصة وهم يقومون بفتح المدافن ودفن موتى جدد فيها ، بينما القانون الألمانى يمنع إعادة فتح المدفن إلا بعد مرور عشرين عامًا على دفن شخص فيه ، وأغلب

الألمان يوصون بحرق جثثهم ، والكاثوليك يدفنون موتاهم فى مقابر لا تفتح إلا بعد عشرين عاما .. هل لذلك حل .. ؟

وقال شيخ الأزهر : ربما كان السبب فى هذا القانون الألمانى هو أن الدفن يتم والميت داخل تابوت من الخشب يشغل حيزا فى المقبرة ، ويؤجل تحلل الجثمان وتحوله إلى تراب ، ولكن الدفن عند المسلمين مختلف ولذلك يمكن إعادة النظر بالنسبة لهم لاختلاف طريقة الدفن .

وفى اللقاء مع رئيس البرلمان فى برلين البروفيسور هازه قال لشيخ الأزهر ، إننا نشعر بفخر لأنكم زرتم برلين ، ونحن نرحب بكم ترحيبا خاصا .. أولا لأننا نتابع آراءكم ومواقفكم ونحترم الدور الذى تقومون به لتحسين العلاقات بين المؤسسة الإسلامية الأم ودول العالم .. ولأن علاقاتنا الثقافية مع مصر علاقات وثيقة جدا ، ولقد زرتم اليوم أحد متاحف برلين ورأيتم اهتمامنا واحترامنا للتاريخ المصرى وللفن المصرى ومثل هذا المتحف هناك متاحف كثيرة تؤكد أن لمصر مكانة خاصة فى قلوبنا ، وهناك إلى جانب ذلك العديد من مجالات التبادل العلمى بين مصر وألمانيا ، وعدد أبناء برلين الذين يرغبون فى زيارة مصر يزدادون يوما بعد يوم ، والاهتمام بمصر فى معرض برلين السياحى المقام هذه الأيام فى برلين ويحضره وزير السياحة الدكتور ممدوح البلتاجى دليل على ذلك ، ونحن سعداء ونحن نستمع منكم شرحا عن الإسلام على أنه دين التسامح ، وبالطبع أنتم تتابعون الجدل القائم حول الصراعات المتوقعة فى القرن القادم وأحب أن أعرف رأيكم فى ذلك .

وقال شيخ الأزهر : أولا أنا أعرف ما يقال عن أن صراع الحضارات أمر لازم ، وأن الصراع القادم سيكون بين الغرب والإسلام ، وأعرف أن الذين

يقولون ذلك يتخذون الدليل من جرائم قتل وتخريب يرتكبها البعض باسم الإسلام ، وأنا أرى أولا أن الحضارات الإنسانية يمكن أن تتعاون وتتبادل المنافع ، فتأخذ كل حضارة ما لدى الحضارة الأخرى من أوجه التقدم ما ينفعها .. والحضارة الإسلامية قامت واستوعبت الكثير من الحضارات اليونانية والفارسية والهندية ، وأضافت وابتكرت ، وكان العلماء المسلمون هم الذين قامت عليهم الحضارة الغربية الحديثة .. بدأت الحضارة الغربية بنقل العلوم الإسلامية .. الطب والصيدلة والهندسة والعمارة والكيمياء وغيرها وغيرها .. وفنون العمارة .. وهكذا استفادت الحضارة الغربية من الحضارة الإسلامية .. ولعلكم تعلمون أن الفكر اليونانى لم يصل إلى الغرب عن طريق اليونان ، ولكن عن طريق المسلمين .. إذن فتعايش الحضارات ممكن .. والحوار بين الحضارات ممكن .. والإسلام ليس دين عدوان .. ولكنه دين تسامح وإخاء وتعاون وسلام ..

وقال شيخ الأزهر : إن هناك مشاعر تقدير من الشعب المصرى تجاه الشعب الألمانى ، ويعرف ذلك كل ألمانى يزور مصر ويتعامل مع المواطنين المصريين ويشعر بحبهم له حين يقول لهم أنا ألمانى .. ونحن لا نحمل عداء للأديان الأخرى ، بل نشعر أننا قريبون من كل المؤمنين بالله مهما اختلفت دياناتهم ، فكل الأنبياء أرسلهم الله للبشرية بدعوة واحدة هى أن يعبدوا الله .. ومن يعبد الله لا يكره عباد الله .. ونحن نعرف أن هناك حضارات متعددة ولكن الله أراد هذا التعدد لكى يتبادل الناس المنافع .. والأديان كلها تدعو إلى التعاون لا إلى الصراع ، وتدعو إلى البناء لا إلى الهدم ، وإلى الإصلاح وليس إلى الإفساد ، والتطورات الإنسانية لا تقف عند حد ، وكل ما نرجوه أن يكون التطور إلى الأفضل ومحكوما بالقيم الدينية وبالفضائل التى جاءت بها الأديان .. وهذا دور العقلاء .

وقال رئيس البرلمان : هذا فعلا دور العقلاء ، ولكن كيف نجعلهم يمارسون دورهم .. لحماية البشرية من جرائم المجرمين ؟ ..

وأجاب شيخ الأزهر : بأن يتجمعوا .. وإذا كان أهل الباطل يتجمعون ويتعاونون على الباطل فأولى بأهل الحق أن يتجمعوا ويتعاونوا على حماية مجتمعاتهم .

وقال رئيس البرلمان : أنا أرى البشرية مثل أسطورة سيزيف .. تتقدم خطوة ثم تتراجع ..

وأجاب شيخ الأزهر : أنا أرى أن البشرية إذا تراجعت خطوة فإنها تتقدم خطوتين .. والنتيجة أن الحياة الإنسانية تسير إلى الأفضل .

قال رئيس البرلمان : إننى أرى عدد الذين يترددون على الكنيسة يتناقص .. هل هذا تراجع عن الدين ؟

وأجابه شيخ الأزهر : الإيمان يحتاج إلى إقناع .. العقائد لا تباع ولا تشترى .. ولا يعتنقها الناس تحت الضغط أو الإكراه .. ولابد أن نقدم الدين للأجيال الجديدة بالصورة التى تتفق مع ما وصلت إليه عقولهم من تطور نتيجة تعاملهم مع علوم وأجهزة متطورة جدا .. والإسلام يقوم على مبدأ اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا فهو يجمع بين الايمان والعمل دون تعارض بينهما .. ولابد أن نعرف أن الجيل الذى نشأ على مبدأ اللذة ومبدأ المنفعة هو الذى ينصرف عن العبادة ولابد أن نغرس فى الأطفال القيم والفضائل فنوجد الجسور بينهم وبين الإيمان . وربما يكون السبب أن هذا الجيل رأى بعض من يتحدثون باسم الدين لا يمثلون القدوة أو النموذج فابتعدوا عن الدين ذاته .. وعندما يفهم الناس الدين فهما سليما لابد أن يرتبطوا به لأنهم سوف يكتشفون أن حياتهم ستكون أفضل بهذا الارتباط ..

وقال رئيس البرلمان : دعوتكم لتجمع العقلاء لحماية الأديان أمامها صعوبة أننا قد لا نجد الكثير من العقلاء ..

وقال شيخ الأزهر : إن يكن عندنا ٢٠ من العقلاء فإنهم يغلبون ٢٠٠ من غير العقلاء .. المهم أن نبدأ فى محاربة الانحراف فى فهم الأديان .. ومحاربة استغلال الأديان فى الجرائم .. ومحاربة المساعى التى تهدف إلى تشويه الأديان لأغراض خبيثة ..

وقال رئيس البرلمان : هذا حوار ممتع .. ولم أكن أظن أننى سأجد رجل دين بهذا التفتح والأفق الواسع .. لقد ساعدتنا فى معرفة الكثير عن الإسلام ..

ولم يكن ذلك كل ما قاله شيخ الأزهر ..

obeikandl.com

٢ حوارات . . ومعارك !

كانت أيام زيارة الإمام الأكبر شيخ الأزهر إلى ألمانيا معارك متصلة .. معارك فكرية مثيرة .. فى جو من الترحيب الحار به وبأفكاره ، كانت موائد الحوار فى حقيقتها ساحات معارك ..

فقد سبقت فضيلة الأمام مجموعة من « الألغام » كانت فى انتظاره ..

قضية نصر أبو زيد .. وهل الأزهر ضد حرية الفكر ؟ وهل مصر دولة لايجد المفكرون فيها فرصة للحياة إلا بأن يقولوا مايريد الشيوخ أن يقولوه وإلا فإن تطليق زوجاتهم منهم هو العقاب الاول وإقامة حد الردة عليهم هو العقاب الأخير .. !

وقضية سلمان رشدى .. وهل القتل هو الأسلوب الوحيد الذى يستخدمه المسلمون للتعامل مع من يخالفهم فى الرأى .. ؟ !

وقضية جمود الفكر الإسلامى .. هل كل ما لدى الاسلام هو الشكليات .. اطلاق اللحية .. ولبس الجلباب .. ووضع مكبرات الصوت فى كل مكان تجلجل بالآذان وتحرم المرضى والمتعبين وغير المسلمين من حقهم فى الراحة .. وحق كل انسان فى الهدوء والراحة حق مقدس فى ألمانيا بالذات .. لأن كل من فيها يعمل ويتعب وليس من حق أحد أن يفسد عليه لحظات راحته ..

وقضية صراع الحضارات .. وهل صحيح أن الصراع القادم فى العالم هو الصراع بين حضارة الغرب والاسلام ولابد أن يقضى أحدهما على الآخر .. ؟ .

وهذه القضية بالذات كانت لها أهمية كبيرة .. كانت تبدو هى الشغل الشاغل للمفكرين والسياسيين ورجال الحكم .. وكان واضحا أنها مأخوذة مأخذ الجد فى أوربا كلها وفى أمريكا بالطبع .. وليس فى ألمانيا فقط .

وكانت هناك قضية أخرى أشد أهمية وخطرا .. هى موقف الاسلام من « الآخر » .. من أصحاب الديانات الأخرى والثقافات الأخرى .. هل هو موقف الرفض والعداء على طول الخط .. أو أنه يمكن قبول « الآخر » والتعاون معه ؟ !

وبصراحة أكبر كيف تسير العلاقة بين الاقباط والمسلمين فى مصر ؟ .. هل هى متجهة إلى العداء أو إلى التعاون ؟ . وكيف يمكن فهم أحداث القتل التى تحدث فى مصر .. ؟

* * *

قضايا شائكة أخرى كثيرة ..

وأسئلة صريحة ..

وكان فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى بهدوئه المعروف ، وابتسامته المتواضعة ، ومنطقه البسيط الواضح الذى يخاطب العقل بهدوء .. يقف صلبا فى ساحات المعارك .. و « مناضلا » عن الاسلام .. يقول فى كل مرة .. أرجوكم .. قولوا كل ماتريدون .. نحن نعرف أن الاسلام يتعرض لحملة تشويه ولا أحب أن أقول إن هذه مؤامرة على الاسلام ، ولكنى أقول إن السبب فى هذه الحملة هو عدم وضوح مبادئ الاسلام ، وعدم وصول حقائق الاسلام إلى العقول الغربية .. والناس أعداء ماجهلوا ..

ومع كل ذلك لم يكن هناك « عداء » فى ألمانيا ..

كانت هناك مناقشات وحوارات محترمة .. ساخنة دائما .. وملتهبة

أحيانًا .. ولكنها كلها كانت تدور فى إطار الاحترام والرغبة فى معرفة الحقيقة ..

وفى ألمانيا – بالذات – مجموعة كبيرة من المستشرقين الدارسين للإسلام كدين وكحضارة .. بعضهم أحب الاسلام ويريد أن يفهمه أكثر .. وبعضهم درس الاسلام لكى يدس فيه ماليس منه .. ولا يتحدث إلا عما يثير مشاعر الغربيين .. فيختزل كل تعاليم ومبادئ وأحكام الاسلام فى حد الردة ليقول للغربيين إن الاسلام دين عنيف ودموى .. من أراد أن يخرج منه فإن القتل هو العقاب الوحيد الذى ينتظره ، ولذلك فإن من يبقى فى هذا الدين لا يبقى إلا خوفا مما ينتظره من عقاب ..

وهناك – بالطبع – من يربط بين الاسلام والارهاب .. ويقول إن وجود العنف فى الفكر الاسلامى ظاهرة قديمة .. واستخدام القتل وتكوين جماعات لقتل المعارضين والمختلفين فى الرأى أمر قديم له جذوره منذ البدايات .. منذ مقتل عثمان .. وجماعات الخوارج .. والحشاشين .. والباطنية .. وكأن هؤلاء فقط هم كل الاسلام ..

وكان شيخ الازهر يخرج من كل لقاء ، بعد مواجهات صريحة جدا ، وقد اكتسب احترام الجميع ، وسلب المعارضين أسلحة المعارضة التى كانت فى أيديهم ، وأقنع كل من استمع إليه أن الاسلام دين لكل الانسانية وليس للعالم الاسلامى وحده .. وليس فيه ما يتصوره البعض من عنف هو جزء من تكوينه .. وليس دينا عدوانيا كما يروج الذين لا يعرفون حقيقته .. ولكنه سماحة .. وتعاون بين البشر .. وقبول لكل انسان مهما يكن لونه .. أو دينه .. أو لغته .. لأن أصل التفكير الاسلامى يبدأ من حقيقة مهمة هى أن البشر جميعا انحدروا من أب واحد وأم واحدة .. ومن هنا فإن وشائج القربى تربط البشر مهما اختلفت أوطانهم ولغاتهم ودياناتهم .. وأن الله سبحانه خلق الناس

مختلفين فى التكوين .. شعوبا مختلفة .. وقبائل وجماعات عرقية وروحية مختلفة .. لكى يستفيدوا من هذا الاختلاف والتنوع .. بأن يتعارفوا على ألوان متعددة من الفكر وأساليب الحياة .. وتزداد حياتهم ثراء .. ولو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة ..

* * *

ومهما حاولت أن أصف شعورى وأنا أشارك الإمام الأكبر فى رحلته فلن أستطيع .. حقيقة كانت رحلة شاقة جدا .. كان تنظيم البرنامج على الطريقة الألمانية .. والألمان لا يعرفون إلا العمل الشاق .. يبدأ الإمام الأكبر يومه فى الصباح مبكرا ولا يدخل غرفة نومه فى الفندق إلا فى ساعة متأخرة من الليل .. وما نكاد نصل إلى مدينة .. ونفتح حقائبنا فى المساء .. حتى نغلق الحقائب فى الصباح ونتركها لتسبقنا إلى المطار ونقضى اليوم كله فى لقاءات وزيارات واجتماعات وحوارات .. حتى أن وزير الخارجية كلاوس كينكل صاح عندما تصفح البرنامج : ماهذا ؟ .. حرام عليكم .. من الذى أعد هذا البرنامج ؟ .. فكيف قبلت هذا البرنامج يافضيلة الإمام ؟ .. إنهم لم يتركوا لك حتى لحظات لكى تصلى .. هذا برنامج لا يتناسب معك .. وقد يناسب وزير خارجية وليس شيخ الأزهر ..كنت أريد أن أطلب منك أن تصلى من أجلى وتطلب من الله أن يساعد هذا المسكين وزير خارجية ألمانيا .. ولكنى أرى أنه ليس لديك وقت لتفعل ذلك ..

وابتسم الإمام الأكبر وقال له ببساطة : أبدا ياسيادة الوزير .. هذا برنامج طيب .. فهو يعطينى الفرصة لألتقى بأكبر عدد من المفكرين وقادة الرأى فى ألمانيا فى مختلف الاتجاهات والبلاد .. والحوار معهم متعة فكرية لأنهم أصحاب عقول راجحة وثقافة عميقة .. وأنا أجد وقتا للصلاة .. فالصلاة

عندنا يمكن أن نؤديها فى أى مكان وليس لها مكان معين .. ورحمة الله واسعة ولذلك أعطانا رخصة قصر الصلاة فى السفر ..

وهكذا ..

وأعتقد أن الافضل أن أقدم للقارئ تقريرا سريعا عن الرحلة لمن يحب أن يصحب معى فضيلة الإمام الأكبر فى جولته الألمانية ..

* * *

بدأت الرحلة فى برلين ..

وفى نفس الوقت كان الدكتور ممدوح بلتاجى وزير السياحة فى برلين يخوض معركة أخرى فى بورصة برلين السياحية ومعه وفد كبير من خبراء ورجال السياحة فى مصر .. وكانت أخبار نجاحهم تصل إلينا ساعة بساعة ..قالوا لنا إن الوفد السياحى المصرى كان أعلى الأصوات وكانت له مكانة متميزة .. وإنه عقد أكثر من ٤٠ لقاء رسميا ومهنيا واعلاميا ، وعقد مؤتمرين صحفيين عالميين ولقاء موسعا فى المتحف المصرى فى برلين ، وأقام ليلة مصرية يتحدث عنها كل من شارك فى هذا اللقاء الدولى ..

كان الحديث فى برلين عن مصر بالتقدير الكبير ..

أما فضيلة الإمام الأكبر فكان فى حوار طويل مع مجموعة من الألمان على رأسهم السيدة بربارا جون المسئولة عن شئون الأجانب فى برلين .

وفى اليوم التالى كان الحوار أوسع مع رئيس مجلس النواب فى برلين الدكتور هيرفيج هاسه ..

وقال رئيس مجلس النواب إن عدد الألمان الذين يرغبون فى زيارة مصر يزداد يوما بعد يوم ، وقد لاحظت أن رجال القانون الألمان بالذات لديهم رغبة قوية لزيارة مصر ويعودون منها باحترام كبير لمصر وللقضاء المصرى ..

وقال بعد ذلك إن نظرية صراع الحضارات تجد أنصارا كثيرين .. وإن العنف الذى ينتشر فى البلاد الاسلامية يصعب علينا فهمه وفهم دوافعه الحقيقية ..

وقال فضيلة الإمام الأكبر : إننى فى الحقيقة أحب أن أعبر عن التجاوب بين الشعبين المصرى والألمانى ، وهناك روابط ثقافية بين الشعبين ، يشعر بها الألمان دون شك حين يزورون مصر ويجدون الترحيب من الناس العاديين .. وأحب أن أؤكد فى البداية أن الاديان السماوية التى أنزلها الله تتفق فى أنها تدعو الناس إلى الفضائل وإلى القيم النبيلة ، وهدفها سعادة البشر وليس شقاءهم ، ولذلك فلا يعقل أن يكون هناك دين يدعو إلى العنف أو القتل أو يدعو إلى ارتكاب الرذائل .. وجميع الأنبياء الذين أرسلهم الله إلى عباده أرسلهم بدعوة واحدة هى أن يعبدوا الله ، ولذلك فهناك عوامل مشتركة كثيرة بين الأديان والحضارات .. والعقلاء هم الذين ينظرون إلى الحضارات على أنها مجالات للتعاون وليست مجالات للصراع .. كل حضارة تستطيع أن تأخذ من الحضارات الأخرى ما ينفعها .. ونحن نعرف – على سبيل المثال – أن الحضارة الغربية – وألمانيا بالذات – متقدمة فى العلوم الحديثة والصناعات الدقيقة ، ولذلك نرسل أبناءنا ليتعلموا منها ، ونرحب بكل من يأتى إلينا ليتعلموا جانبا من حضارتنا وثقافتنا .. فالحضارات بذلك تتعانق وتتفاعل .. ولا تتصارع أو تتنافر ..

وقال رئيس مجلس النواب : أن الذين يترددون على الكنائس يتناقص عددهم ..

فهل نعود إلى التبشير من جديد بأهمية الدين .. ؟

وأجابه شيخ الأزهر : قد يكون هناك إعجاب بالجانب المادى من الحضارة وقد يرى البعض أن الأديان لم تعد صالحة لهذا العصر .. وهذه المسألة تحتاج إلى تفاهم وإقناع ، لأن العقائد لا تباع ولا تشترى .. والإيمان لا يتحقق

بالضغط أو الإكراه .. والأجدى من الضغط أن يقتنع هؤلاء أن الإيمان ليس نقيضا للعلم .. وأن الأديان ليست ضد التقدم العلمى والحضارى .. وأن التمسك بالقيم الدينية يفيد الإنسان الفرد ويفيد المجتمع ككل ويفيد العالم كله .. لأن الحياة القائمة على الإيمان والقيم الأخلاقية السليمة المستمدة من الشرائع السماوية هى الحياة التى تليق بالإنسان .. من المهم جدا أن نوضح للناس أن الأديان ليست قوة رجعية أو دعوة للجمود أو التخلف .. الأديان دعوة إلى التقدم والبناء والإضافة إلى العلم والمعرفة .. والإسلام يقوم على مبدأ « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا » ..

وفى القرآن عشرات الآيات التى تدعو المؤمنين إلى العلم والتفكير والعمل لتعمير الأرض والإصلاح بين الناس والتعاون فيما بينهم على البر والتقوى وليس على الإثم والعدوان ..الإسلام يدعو الناس إلى أن يجمعوا بين العمل للدنيا والعمل للآخرة ومراقبة الله فى كل ما يعملون .. المشكلة أن رجال الدين أحيانا لا يقومون بواجبهم كما ينبغى ليشرحوا للناس بأساليب مقنعة أن الدين فى حقيقته قوة للتقدم ، والرقى ، والعمل فى الدنيا بكل جدية ، وإتقان العمل ، والبعد عن الظلم ، والتخريب ، والإفساد فى الأرض ، والإرهاب بكل صوره .. وعندما يفهم الشباب الدين فهما سليما ستصل الإنسانية إلى التعاون ، والسلام ، والتقدم القائم على القيم .. وسعادة الإنسان لا يمكن أن تتحقق بالابتعاد عن الله ولكن ستتحقق بالاقتراب من اللهوالحياة معه وفقا لتعاليم الدين ..

وقال رئيس مجلس النواب : إن دراستى فى العلوم السياسية وليست فى الأديان ، وعندما أتحدث عن الإسلام السياسى نصطدم بالوسائل التى يتبعها الراغبون فى التغيير وهى العنف والإرهاب ، ونجد صعوبة فى إقناع الآخرين بأن الإسلام ليس له علاقة بالعنف ..

وقال الإمام الأكبر : فى المنطقة التى نعيش فيها نشأت الديانات السماوية الثلاث .. وهى موجودة إلى اليوم .. وهذه الديانات تدعو إلى عبادة إله واحد .. الله واحد مهما اختلفت الديانات .. وليس هناك إله لأهل كل دين .. والله الواحد الأحد لا يأمر البشر بالصراع أو القتل .. وما فى منطقة الشرق الأوسط من عدوان على حقوق الآخرين .. وما فيه من ظلم وعنف وقسوة ليس وليد الأديان .. ولكنه تعبير عن الخروج على الأديان وتجاهل الوصايا التى أرسلها الله إلى البشر عن طريق الرسل .. كل دين من عند الله هو دعوة للسلام .. المشكلة تأتى من توظيف الدين لتحقيق أهداف سياسية تتعارض مع قيم ومبادئ الدين ذاته .. ولذلك أنا أدعو العقلاء دائما إلى أن يتجمعوا من كل الديانات وكل الدول .. ويلتقوا على كلمة واحدة لتحقيق السلام ونشر الفضائل والدفاع عن المظلوم ورد الظالم وإعادة الحقوق إلى أصحابها .. أنا أدعو العقلاء جميعا إلى التجمع سواء كانوا يعملون فى الدين أو السياسة أو الثقافة أو العلوم ..

وقال رئيس مجلس النواب وهو يبتسم بعد ساعات من الحوار شارك فيه كل الحاضرين : أنا شاكر للإمام الأكبر هذا التوضيح المقنع .. ومقدر له أنه مازال يؤمن بالعقل الإنسانى .. وإن كنت أرى أن دور العقلا ينحسر والعقلاء يقل عددهم يوما بعد يوم ..

وكانت كلمة الختام لفضيلة الإمام الأكبر : مهما قل عدد العقلاء فإن تجمعهم يجعلهم أكبر أثرا .. وإذا تجمع عشرون من العقلاء فإنهم يتغلبون على مائتين من الحمقى ..

وانتهى اللقاء بمشاعر فياضة من التقدير لرجل الدين القادم من مصر بلغة لم يسمع مثلها الألمان من قبل كما قال رئيس مجلس النواب ..

* * *

وكان اللقاء الثانى مع عمدة برلين ايبرهارد ديبجن وهو صاحب تاريخ سياسى طويل وانتخب عمدة لبرلين ثلاث مرات .. ويعتبر من الشخصيات المهمة خاصة وأنه يحكم برلين التى ستكون عاصمة ألمانيا الموحدة مع بداية عام ٢٠٠٠ وهو الذى يشرف على أكبر حركة بناء فى العالم لتشييد المبانى الجديدة للوزارات الاتحادية التى ستنقل من بون وتعود إلى برلين من جديد ..

وقال عمدة برلين : أرحب بك يا صاحب الفضيلة فى برلين .. ونحن نعرف الكثير من مواقفك التى تدل على التسامح واتساع الأفق .. والحقيقة أنا أعتبر نفسى عمدة لواحدة من أكبر المدن التركية الإسلامية .. لأن الأتراك المسلمين فى برلين غالبية .. ولدينا أيضا عدد كبير من المصريين .. ويهمنا أن يكون التعايش سلميا بين أصحاب الديانات والثقافات المختلفة ..

وأجاب شيخ الأزهر : الطبيعى أن يكون التعايش سلميا بين أصحاب الديانات المختلفة ، لأن هناك روابط تجمعهم .. فهم جميعا يؤمنون بإله واحد .. وهم جميعا متفقون فى الفضائل الأخلاقية التى تدعو إليها الأديان .. وإذا كان هناك اختلاف بعد ذلك فى العقائد فلا يصح أن يكون ذلك سببا للصراع أو العداء .. لأن الأديان جميعا تدعو إلى اعتناق الفضائل بما فيها محبة الآخرين .. واجتناب الرذائل بما فيها الكراهية للآخرين .. والأديان جميعها تدعو إلى السلام والتعاون بين الناس وتحذر اتباعها من الظلم والقتل والإرهاب .. الأديان جميعها تدعو إلى الاصلاح وليس هناك دين يدعو إلى الإفساد .. والأديان كلها تدعو إلى البناء والتعمير وليس هناك دين يدعو إلى التخريب وليس هناك دين من عند الله يدعو الإنسان إلى كراهية الإنسان ..

وإذا نظرت إلى ما يحدث فى مصر – مثلا – فسترى أن هناك جرائم تنسب إلى الأديان .. وهى جرائم لا تختلف عن الجرائم التى ترتكب فى غير مصر .. وأنا كمتخصص فى دراسة الأديان أقول إن الأديان كلها بريئة من

كل دعوة إلى العنف أو الإرهاب أو القتل أو التخريب .. ولذلك عندما سافرت إلى الولايات المتحدة والتقيت بالمسلمين والمسيحيين هناك وقابلت بعض المسئولين قلت : إذا حدثت جريمة انسبوا الجريمة إلى مرتكبها ولا تنسبوها إلى الدين حتى لو حاول المجرم أن يفعل ذلك .. لأننا نعرف الحقيقة وهى أنه ليس هناك دين يدعو المؤمنين به إلى ارتكاب الجرائم .. هناك مجرمون بالطبع فى كل مكان .. منهم مسلمون ومنهم مسيحيون ومنهم يهود .. ولكنهم ليسوا مجرمين لأن جرائمهم استجابة لدعوة أو لمبادئ أديانهم .. ولكنهم خارجون على الأديان السماوية وخارجون على القانون الوضعى .

ونحن فى مصر ٦٠ مليونا ، بيننا ١٠٪ من المسيحيين ، نعيش معا منذ ١٤٠٠ عام أخوة متحابين .. نسكن فى مساكن متجاورة .. ليس فى مصر مدن أو أحياء أو مستوطنات لأصحاب ديانة بعينها .. البيت الواحد يسكن فيه المسلمون والمسيحيون .. والشركة أو المحل قد يملكه أكثر من واحد منهم المسلم والمسيحى .. والكل يجند فى الجيش ويشارك فى الحروب ، وكل من يحمل الجنسية المصرية هو مصرى والكل متساوون فى الحقوق والواجبات .. أما اختلاف العقائد فهذا ما أراده الله .. ولو شاء الله ان يوحد العقائد فى عقيدة واحدة فلن يعجزه ذلك .. ولو شاء أن يجعل الناس على الأرض أمة واحدة لفعل .. ولكن التعدد هو إرادة الله .. ولكل إنسان أن يعتنق العقيدة التى يؤمن بها والمبدأ فى الإسلام « لا إكراه فى الدين » .. والسبب فى ذلك أن الإكراه لا يولد مؤمنين .. إذا اضطررت إنسانا على اعتناق عقيدة لا يؤمن بها من قلبه فسوف يظهر الإيمان ويبطن الكفر ويكون منافقا .. الإكراه يولد منافقين ولا يولد مؤمنين .. ومادام غير المسلم لا يسىء إلى عقيدة المسلم فإن التعاون والمحبة هما الإطار الإسلامى الذى شرعه الله للعلاقة بينهما .. سواء فى بلد إسلامى أو فى بلد غير إسلامى ..

وقال العمدة : ولكنا نرى فى تاريخ كل الأديان مراحل من العنف وفى عالم اليوم الكثير من التعصب ولذلك فإننا نحتاج إلى رجل الدين الذى يساعدنا على نشر التسامح ويساعد الناس المختلفين فى العقائد على أن يتعايشوا معا ويقبلوا الحياة المشتركة ..

ونحن فى برلين نشعر أن عام ٢٠٠٠ له أهمية أكبر مما يشعر بها العالم .. لأن برلين ستصبح عاصمة ألمانيا .. ونريد أن تكون برلين نموذجا لروح التعاون بين أصحاب الديانات المختلفة ، ولذلك أطلب من مراكز البحوث والجامعات فى برلين أن تزيد جهودها للتقريب بين أصحاب الديانات المختلفة وتبادل المعرفة بينهم .. وفى برلين معهد علمى يعد لتنظيم حلقة نقاش مهمة حول آفاق التفاهم والتعاون بين الأديان .. وفى الجامعات لدينا أقسام لدراسة العلوم الإسلامية ..كما أن فيها أقساما لدراسة المسيحية واليهودية أيضا . وأعتقد أن فهم الأديان فهما صحيحا يساعدنا على تفادى التأثيرات السلبية والإرهاب الذى يهدد الحضارة باسم الدين . وأنا أشارككم فى أن الإرهاب ليس تعبيرا عن روح أى دين من الديانات ولكنه تعبير عن استخدام الدين استخداما ضد مبادئه وأهدافه الحقيقية .. وعندما أنظر إلى مدينة القدس ولها أهمية بالغة للديانات الثلاث فإننى أرجو أن تخلو من التطرف الدينى ومن الإرهاب باسم الدين .. وأرجو يا فضيلة الإمام الأكبر أن تأخذ معك من برلين فكرة مهمة .. هى أننا مهتمون بالسلام فى الشرق الأوسط كما أننا مهتمون بتحقيق السلام فى بلادنا .. ففى ألمانيا لدينا مشكلة هى أن الجزء الشرقى عاش فى ظل الحكم الشيوعى وكانت التربية الشيوعية تغرس فى الألمان المادية والإلحاد ونحتاج إلى مجهود كبير لإعادة غرس القيم الدينية فى هذا الجيل .

وقال الإمام الأكبر : طبعا نحن نقدر هذه المسألة ولكن هكذا شأن الحياة دائما .. لابد أن تكون هناك صعوبات ومشاكل .. ولابد أن يدخل العقلاء

فى صراع مع الحمقى .. ويدخل الحق صراعا مع الباطل .. وأعتقد أنكم لن تجدوا صعوبة كبيرة فى إعادة الناس إلى الإيمان .. لأن الإيمان بالله فطرة فى الإنسان .. والذى أرجوه أن تتضح حقيقة الأديان وأولها الإسلام كدعوة للسلام .. وللتعاون بين الناس .. وأن الأديان بريئة من الجرائم التى تنسب إليها .. الإسلام برىء من التعصب والعنصرية والإرهاب .. برىء من الظلم والعدوان على الآمنين .. وبالنسبة للقدس فإن لها أهمية كبيرة للمسلمين ..فهى المكان الذى أسرى فيه الله بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم .. وفيها أول قبلة اتجه إليها المسلمون للصلاة .. وهى مدينة مقدسة للمسلمين كما هى مقدسة للمسيحيين ولليهود .. ومن الممكن إذا حكَّمنا العقل أن نجعلها مفتوحة لكل أصحاب الديانات وليست تحت حكم أصحاب دين واحد .. ولعلكم تذكرون أن القدس كلها عربية منذ آلاف السنين وأن نصفها ظل عربيا إلى وقت احتلالها فى عام ٦٧ ..

وختم الإمام الأكبر حديثه إلى عمدة برلين بقوله : إذا كانت هناك دعوة للحوار بين الأديان بقصد البحث عن القاسم المشترك بينها وبهدف إيجاد جسور للتفاهم والتعاون بينها فنحن نرحب بالاشتراك فيه باسم الأزهر .. لأن الحوار النزيه يؤدى إلى الفهم السليم ..

وأجاب العمدة : أشكرك جدا .. وسأضيف ذلك إلى تخطيط الندوة الدولية التى نعدها ..

* * *

اتجهت السيارة بالإمام الأكبر إلى مطار عسكرى ملاصق لمطار برلين .. فى إحدى القاعات كان ينتظر هيلموت شميت المستشار الألمانى السابق الذى جاء بطائرة خاصة لهذا اللقاء ..

كان **هيلموت شميت** واقفا فى انتظار الإمام الأكبر وهو مبتسم ابتسامة عريضة بادى الحيوية رغم إنه من مواليد عام ١٩١٨ .. وكان الرجل صاحب التاريخ العريض فى العمل السياسى كعضو فى البرلمان (البوندستاج) ووزير ثم كمستشار له دور كبير فيما حققته ألمانيا من تقدم اقتصادى ، ثم كمفكر وكاتب .. فهو الآن يكتب بانتظام فى مجلة سياسية أسبوعية منذ عام ١٩٨٣ ، وله عدة مؤلفات فى الدراسات الاستراتيجية ..

بدأ شميت حديثه بدعابة ..

قال : يا فضيلة الإمام الأكبر أنا عمرى ٧٨ سنة ، ولكن أذنى عمرها ٨٨ سنة ولذلك أرجو أن ترفع صوتك بقدر ما تستطيع لأنى أريد أن أسمعك .

وقال له فضيلة الإمام الأكبر : لعلك تذكر أننا التقينا فى القاهرة فى العام الماضى ، على الباخرة فرعون ، بعد منحك وسام الجمهورية من الرئيس حسنى مبارك فى احتفالات المولد النبوى الشريف .

وهز شميت رأسه وقال : نعم .. نعم أذكر .. وكان لقاؤنا على أفكار كثيرة .. وأنا دائما أجد أصدقاء فى مصر .. تربطنى صداقة بالرئيس مبارك ، وقد التقيت به مرات كثيرة منذ كان نائبا للرئيس وأنا متأثر جدًا بشخصية أنور السادات وسمعت منه الكثير عن الأديان الثلاثة .. وقد حاولت اجراء حوارات مع رجال دين من المسيحية واليهودية والإسلام فعرفت ان نظراته كانت صحيحة .. فيما عدا شىء واحد .. السادات كان يرى أن اليهودية اخذت فكرة وحدانية الله من اسينوفيس الرابع ولم أجد إثباتا لذلك فى كتب التاريخ لأنه ليس هناك دليل تاريخى على أن اليهود كانوا فى مصر ، في التوراة أن اليهود كانوا فى مصر ، ولكن التاريخ الفرعونى لم يسجل وجودهم .. والسادات كان يرى أن الأديان الثلاثة تنتسب إلى النبى إبراهيم ، ولذلك كان يرى أن هناك قاسما مشتركا بين الأديان الثلاثة يجعل المؤمنين بها قادرين على

التعايش معا ، وقبل قيامه برحلته التاريخية إلى القدس تحدث إلى كثيرا عن هذه الأفكار التى كانت تشغل تفكيره ..

وقال له الإمام الأكبر : إن الرئيس السادات له كل الاحترام فى مصر ، وهو من الزعماء الذين سبقوا زمانهم ..

قال شميت مقاطعا : نعم .. نعم .. السادات سبق زمانه ..

وأكمل الإمام الأكبر : وفكرته عن تعايش الأديان هى تعبير عن روح الإسلام .. فليس هناك ما يمنع من ذلك من الناحية الدينية أو العقلية .. وفى مبادئ الإسلام أن اختلاف الديانات ليس سببا للعداوة بين البشر ، وغير المسلمين الذين يعيشون معنا فى مصر يأمرنا الإسلام أن يكونوا مثلنا تماما لهم مالنا وعليهم ما علينا .. والمسلمون الذين يعيشون فى بلاد غير مسلمة لابد أن يتبعوا قوانين ونظم هذه البلاد ويتعاونوا مع أهلها .. مادام لا يعتدى علينا أحد فنحن لا نعادى احدا .. ولا نعتدى على أحد .. لأن الله لايحب المعتدين . أما الذين يحاربوننا أو يعتدون علينا أو على أموالنا أو اعراضنا أو أرضنا فإن العقول قبل الأديان تأمرنا أن ندافع عن أنفسنا .. المبدأ فى الإسلام أن اتفاق واختلاف العقائد شىء ، وتعاون البشر وتبادل المنافع فيما بينهم شىء آخر . ونحن نرى محاولات للإساءة إلى الإسلام وتشويه صورته ، ونريد أن نوضح حقيقة الإسلام .. فهو دين سماحة وسلام وعدل .. وضد التعصب والإرهاب والظلم .. واليهودية أيضا دين يرفض الإرهاب والظلم .. ولذلك نقول إن اليهود الذين يطالبون باغتصاب أرض غيرهم وينكرون الحق والعدل هم بعيدون عن حقيقة الدين اليهودى .. لأنه ليس هناك دين من عند الله يدعو اتباعه إلى الظلم والاعتداء على الآخرين واغتصاب حقوقهم .. نقول بوضوح الأديان الثلاثة جاءت بالمحبة ونشر السلام ..

وقال هيلموت شميت وهو يهز رأسه : صدقت .. الأديان الثلاثة فيها قاعدة واحدة مشتركة هى : أن يتصرف الإنسان تجاه جاره كما يريد من جاره أن يتصرف معه . ولكن هناك خطر كبير يأتى من المتطرفين .. بل نستطيع أن نقول من الإرهابيين فى الأديان .. فى المسيحية نذكر الحروب الصليبية .. فى اليهودية نذكر جماعات الإرهاب .. وفى المسلمين نذكر الشيعة .. وما يقلقنى الآن هو كتاب نشره المفكر الأمريكى صمويل هانتنجتون موضوعه صراع الحضارات وانتشرت الفكرة فى العالم ، وهو يقول للأمريكيين إن الصراع بين الغرب والإسلام أمر لا مفر منه .. هذه الفكرة بذرة غرسها هانتنجتون فى أرض خصبة لأن الأمريكيين منذ وقت طويل يساندون إسرائيل ، لذلك فإننى أتمنى لو صدر من جانبكم ياصاحب الفضيلة ردا على هانتنجتون فهذا الرد سيكون له تأثيره الكبير .. لأن خطورة الفكرة أكبر مما نظن .. خاصة وإن هناك ظاهرة أخرى ليست واضحة الآن لكنها ستضح فيما بعد ، هى الصراع على مراكز القوة الذى بدأ بين الصين وإيران وباكستان ودول الاتحاد السوفيتى السابق مثل تركستان واوزبكستان والدول التى فيها شعوب مسلمة ، وفى الصين منطقة سنجان وهى منطقة المسلمين فى الصين .. ولأول مرة تطالعنا حوادث إرهابية يقوم بها سكان منطقة غرب الصين المسلمون ، لذلك أعتقد أنه من المهم جدا أن يكون معلوما ومعلنا رأى الأزهر ..

وقال فضيلة الإمام الأكبر : إن ما قاله هانتنجتون عن الصراع المحتوم بين الغرب والإسلام ليس قائما على أساس علمى ، أو منطقى ، أو تاريخى ، وعند العقلاء أن الحضارات المختلفة لا تتصارع ولكنها تتعاون ويأخذ بعضها من بعض ، كل حضارة تأخذ من الأخرى ماينفعها ، والحضارات ملك للبشرية كلها .. ولا أعرف ما المقصود بالحضارات .. هل هى المقومات المادية من صناعة وعلوم ؟ .. وماذا يمنع من أن تأخذ الحضارات من بعضها هذه العلوم

والصناعات .. أو أن المقصود هو الديانات ؟ .. وهل يرى حتمية الصراع بين المسيحية والإسلام مثلا ؟ .. أقول له أنت مخطيء .. مخطيء .. لأنه ليس هناك أسباب تدعو إلى هذا الصراع وتجعله محتوما .. فكل دين هو دعوة للإيمان بالله .. والله واحد .. الله الذى يعبده اليهود هو الله الذى يعبده المسيحيون وهو الله الذى يعبده المسلمون .. وهل يعقل أن يكون لكل أصحاب ديانة إله مختلف عن إله الآخرين .. هو لهم وحدهم ؟ ! ..

ثم هل هناك دين جاء من عند الله ليدعو أصحابه إلى التخريب والعنف والقتل .. أو أن الأديان كلها جاءت بالدعوة إلى المحبة بين الناس وبالسلام للجميع وبالتعاون على البر والتقوى وليس على الاثم والعدوان ؟ .. هل هناك دين يدعو للافساد فى الأرض ؟ ..

* * *

وقال شميت : أوافق تماما على ما تقول ، ولقد دعوت إلى مؤتمرين حضرهما علماء من المسلمين ورجال دين من البروتستانت والكاثوليك وأحبار من اليهود ورهبان من البوذية وحضره أيضا من الصين من يعتنقون الديانة الكونفوشية ، وكان المؤتمر الأول منذ عشر سنوات ، والثانى عقد فى العام الماضى ، وتكشف فى المؤتمرين أن هناك اتفاقا تاما بين كل هذه الديانات على المبادئ الاخلاقية . وسوف أدير مؤتمرا مشابها فى فيينا عاصمة النمسا لتوسيع رقعة المبادئ الاخلاقية التى تلتقى عليها الأديان ، ولكى تقوم المجتمعات والدول على أسس أخلاقية ولا تكون الاخلاق للأفراد فقط .. لقد اختفى من وعى الناس ما كان يحدث فى تبادل الفكر والتعاون بين علماء المسلمين والمسيحيين واليهود فى الأندلس .. فى طليطلة وغرناطة قبل أن يستولى عليها الأسبان .. وأهل الغرب غاب عن وعيهم أن فكر افلاطون وأرسطو وغيرهما

من فلاسفة اليونان جاء إلى الغرب عن طريق الفلاسفة المسلمين وليس عن طريق اليونان .. وهذا شيء لا نتعلمه فى المدارس .. وأنا أساند بكل قواى ما تطمحون إليه من حوار بين قادة الأديان ..

وقال الإمام الأكبر : هذا الحوار لصالح البشرية .. وأريد أن أفرق بين أنواع من الحوار .. إذا كان الحوار موضوعه العقائد ليبين كل واحد أن دينه صواب ودين غيره خطأ فسيكون الحوار فاشلا .. أقول ذلك وأنا واثق أن حجج الإسلام واضحة وقوية .. لكن ذلك لن يفيد البشرية .. وإذا قام الحوار على أن الأديان السماوية كلها من عند الله ، وأنها تدعو إلى الفضائل الاخلاقية ، وإلى الإخاء الإنسانى ، وتدعو إلى العدل وإلى نصرة المظلوم .. إذا قام الحوار على هذه المحاور فسنجد أن التعاون والاتفاق سهل ، وسنرى أن الحضارات يمكن أن تتعاون لا أن تتصارع .. فالعقائد ليست موضوع حوار .. العقائد يقين مستقر فى الضمائر والقلوب .. العقائد لا تباع ولا تشترى والذى يحاسب عليها هو الله تعالى .. ومادمت أنت لا تسىء إلى عقيدتى فأنا ملزم بألا أسىء إلى عقيدتك .. ولا يفيد الإكراه فى الدين ، لأن اعتناق الدين بالاكراه يعنى أن يكون الناس منافقين وليسوا مؤمنين ..

وقال شميت : هناك نقطة أخرى هى أن يكون أساس الحوار قبول التسامح واحترام عقيدة الآخر وهذا شيء نسيناه فى المسيحية ..

وتوقف هيلموت شميت عن الحديث لحظة وقال للإمام الأكبر ..

حين تلتقى بالرئيس مبارك أرجوك أن تنقل إليه تحياتى .. فأنا أحمل له تقديرا كبيرا .. وهو شخصية مؤثرة .. وهو رجل صادق فى سعيه إلى السلام .. كذلك كان السادات الذى كتبت عنه فصلا كاملا فى كتابى الأخير « أصدقاء على الطريق » الذى صدر فى ديسمبر الماضى ..

وبعد اللقاء الذى طال بأكثر مما كان مقررا .. توجه الإمام الأكبر إلى الطائرة الخاصة التى كانت تنتظره لتقله إلى العاصمة بون .. وكان شميت أيضا يتجه إلى طائرته الخاصة التى كانت تنتظر ..

. *

قبل لقاء شميت كان لقاء الإمام الأكبر مع الرئيس الألمانى الدكتور رومان هيرتزوج وكان الاستقبال رسميا فى قصر الرئاسة .. والدكتور هيرتزوج شخصية سياسية معروفة وهو أيضا مفكر كبير .. كان أستاذا للقانون والعلوم السياسية ، ووزيرا للتعليم والثقافة ثم وزيرا للداخلية ، ووصل إلى منصب رئيس المحكمة الدستورية الاتحادية وأخيرا أصبح منذ عام ١٩٩٤ رئيسا لجمهورية ألمانيا الاتحادية ، وله مواقع مهمة فى العمل الدينى .. كان رئيسا لغرفة الكنيسة البروتستانية ورئيسا لمجموعة العمل البروتستانتية فى تحالف الحزب المسيحى الديمقراطى ..

ودار الحوار حول محاور محددة طال فيها الحديث لأكثر من ساعة ونصف .

كان المحور الأول هو أهمية العلاقات الألمانية العربية بشكل عام .

والمحور الثانى عن أهمية مصر فى نظر ألمانيا والشعب الألمانى وحرص ألمانيا على تقوية جسور التعاون مع مصر ، مع تقديرها لدور مصر القيادى ، ولدور الرئيس حسنى مبارك فى عملية السلام وفى نجاحه فى عملية الإصلاح الاقتصادى الصعبة التى خرج منها منتصرا .

والمحور الثالث كان عن نظرية صراع الحضارات ونظرية الدكتور طنطاوى عن حوار الحضارات التى كان يريد أن يستمع منه شخصيا إلى آرائه فى هذا الموضوع بعد أن قرأ له فى بعض الصحف ما قاله عنها .

وكان الحوار وديا كأنه بين أصدقاء التقوا كثيرا ومنذ سنوات طويلة ..

وحين وصل الإمام الأكبر إلى بون كان فى استقباله وكيل وزارة الخارجية والسفير المصرى النشيط محمود مبارك الذى تسلم عمله منذ أيام فقط ولكنه أصبح معروفا وصديقا للجميع .. وكان فى استقباله أيضا أعداد كبيرة من المسلمين فى بون والجالية المصرية .. ونزل الإمام الأكبر فى دار الضيافة الرسمية فى بيترسبرج وهى ضاحية فى بون حيث ينزل رؤساء الدول ..

ومن هنا بدأ الحوار يأخذ أبعادا جديدة ..

obeikandl.com

٣ الإسلام بعيون غربية

فى زيارة ألمانيا كانت هناك أسئلة هدفها معرفة الحقيقة ، وأسئلة كان هدفها إحراج شيخ الأزهر .. من بعض من أرادوا إفساد الزيارة ولكنهم لم يستطيعوا .. !

وصل فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر من برلين إلى العاصمة الألمانية بون ..

فى المطار كان هناك استقبال رسمى من الدولة وممثل لوزارة الخارجية .. وكان هناك عشرات من ممثلى المنظمات والهيئات الإسلامية ومن الجاليات الإسلامية والمصريين الذين يقيمون فى بون ..

واستضافت الحكومة الألمانية الإمام الأكبر فى دار الضيافة الرسمى الذى ينزل فيه رؤساء الدول .. وهو قصر جميل على قمة جبل يطل على العاصمة الصغيرة التى تستعد للانتقال إلى برلين ..

فى الصباح زار أكاديمية الملك فهد ، وهذه الأكاديمية أنشأتها السعودية فى بون لتعليم اللغة العربية والدين الإسلامى لأبناء الجاليات العربية ، وتكلف إنشاؤها ٣٢ مليون مارك ، ويدرس فيها ٥٠٠ طالب وطالبة فى المراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية ويحصلون على الثانوية العامة السعودية .. وملحق بالأكاديمية مسجد وقاعة محاضرات ومكتبة .. والتقى الإمام الأكبر مع أساتذة وطلبة الأكاديمية ، وكان فى استقباله سفير السعودية فى بون ، ومديرة الأكاديمية الدكتورة عائشة الحسينى وهى حاصلة على الدكتوراه من كلية البنات بجامعة الأزهر ، وتحدث شيخ الأزهر عن أهمية العلم والعلماء ..

قال : إن الذين يخدمون أمتهم ويخدمون غيرهم بالعلم النافع لا يقلون عن المجاهدين .. وقيمة العلم تظهر حين نرى أن الله حين أراد أن يكرم رسوله صلى الله عليه وسلم لم يعلمه أن يطلب مزيدا من المال ، أو الجاه ، أو السلطان ، ولكن علمه أن يطلب مزيدا من العلم « وقل رب زدنى علما .. »

من هنا فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم وكل مسلمة دون تفرقة بين رجل وامرأة .. فالإسلام جاء بالمساواة بين الرجل والمرأة فى أمور متعددة : مساواة فى أصل الخلقة ، فالرجل والمرأة من أب واحد وأم واحدة و﴿ بعضكم من بعض ﴾ .. ومساواة فى التكاليف الشرعية فكل ما هو مفروض على الرجل من العبادات مفروض أيضا على النساء .. ومساواة فى طلب العلم ؛ ولذلك يجب أن تحصل المرأة على نصيب مساوٍ للرجل من فرصة التعليم دون تفرقة .. ومساواة فى الكرامة الإنسانية فالله يقول : ﴿ولقد كرمنا بنى آدم ﴾ فلا تفرقة فى الدرجة أو المنزلة بين الرجل والمرأة فى صيانة الكرامة .. إذن هناك مساواة تامة فى أمور كثيرة .. وهذا لا يمنع من أن يكون لكل منهما خصائص مختلفة عن الآخر ، لكنها خصائص تجعل التعاون والتكامل بينهما أساسا لإعمار الكون ..

* * *

بعد المحاضرة سأل أستاذ بالأكاديمية : هل أطفال الأنابيب وهل الاستنساخ الذى توصل إليه علماء الهندسة الوراثية حلال أو حرام .. ؟

وأجاب الإمام الأكبر : المبدأ أن كل ما يؤدى إلى إعمار الكون ، وإلى سعادة الإنسان ، وإلى المزيد من الذكاء الإنسانى بطريقة يقرها الأطباء ولا تتعارض مع الشريعة فهو حلال .. الأصل أن اختلاط الأنساب حرام ..

فإذا توصل العلم إلى أى وسيلة جديدة ليس فيها شبهة اختلاط الأنساب فهى حلال .. أما المسائل الفنية الخاصة بالهندسة الوراثية فلا أستطيع أن أتحدث فيها ، وقد علمنا الإسلام أن نرجع إلى أهل كل علم فهم أدرى به .. ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ . فأطفال الأنابيب إذا كانوا من ماء الزوج وماء الزوجة دون سواهما فهذا حلال ، أما إذا كان من ماء الزوج وماء امرأة أخرى أو العكس فهذا حرام .. الذى يحدد الحلال والحرام هنا هو ما إذا كانت هذه الوسيلة تؤدى إلى اختلاط الأنساب أو لا ..

وسأل طالب بالأكاديمية .. إن الكتب تقول : إن الإنسان الذى يموت مقتولا يظهر له « عفريت » فهل فى ذلك أصل فى الشريعة .. ؟

وكان السؤال دليلا على أن الخرافات تصاحب المسلمين حتى وهم فى بون ..

وأجاب شيخ الأزهر : هذه خرافة من الخرافات ليس لها أساس فى الدين ولا فى العلم .

وسأل طالب آخر : هل إذا توصل العلم إلى إعادة الحياة إلى الموتى يكون ذلك حلال أو حراما .. ؟

ومع غرابة السؤال أجاب الإمام الأكبر : يا بنى .. لا يحيى الموتى إلا الله ..

وسألت سيدة : هل الإجهاض حرام مهما يكن السبب ؟ وهل تنظيم الأسرة حلال ؟ .

وأجاب الإمام الأكبر : الإجهاض يكون حلالا إذا كانت هناك خطورة مؤكدة على صحة الأم ، أو أن يكون الجنين مشوها ، وجزم الطبيب بذلك ، أما تنظيم الأسرة فهو اتخاذ وسائل طبية لمنع الحمل أصلا وهذا حلال .

وهكذا استمر الحوار ..

* * *

وبعد اللقاء كانت إحدى محطات التليفزيون فى انتظار لتسجيل حديث مع شيخ الأزهر ..

سألوه : هناك موقف متعجل أدان الاستنساخ ، وموقف آخر يرى فيه تقدما علميا يمكن أن يؤدى إلى تقدم البشرية ، مع أيهما يقف الإمام الأكبر ؟ ..

وأجاب : موقفى يتلخص فى كلمات محددة : كل ما يأتى به العلم لخدمة الإنسانية فى حدود ما أحله الله فهو حلال .. أطفال الأنابيب حلال إذا كانوا من الزوجين ولم يكن فيها اختلاط الأنساب .. وكل تقدم علمى نحن نرحب به ، والإطار الشرعى للحلال والحرام محدد ومعلوم ، ومادام التقدم العلمى ليس فيه اعتداء على ما أمرنا به الله أو مخالفة للسنة المؤكدة فلماذا نعارضه .. وأخيرا لابد أن نعلم أن الخالق هو الله ..وليس هناك خالق إلا الله .. فإذا كان فى اكتشافات العلماء خروج عن الضوابط الشرعية والأخلاقية فنحن نعارضه .

وسألوه : هل أنت راضٍ عن نظام تعليم الفقهاء ؟ وهل يتناسب مع روح العصر ..؟

وأجاب : نحن فى عصر التخصص الدقيق .. الطب له مجالاته الكثيرة المتخصصة .. والفلك .. وعلم الحياة .. وهكذا .. نحن الفقهاء لا يمكن أن ندرس كل هذه العلوم لأنها لا تدخل فى مجالات تخصصنا .. نحن متخصصون فى الجانب الفقهى .. نرجع إلى كتاب الله والسنة المؤكدة واجتهادات الفقهاء السابقين .. ولنا أن نمارس الاجتهاد فيما يجدُّ من أمور

على أن نكون مؤهلين لذلك ونلتزم بشروط الاجتهاد .. والاجتهاد ليس بالعقل وحده .. ولكن العقل محكوم بحدود ما شرعه الله ، والدراسات الفقهية تتطور مع العصر لأن هناك مسائل جديدة لم يعرفها الفقهاء السابقون ، ولابد أن نقول فيها حكم الشريعة .. نحن نساير العصر ، وفى نفس الوقت نحتفظ بأصول الفقه .. التطور ليس معناه أن نحل ما حرم الله أو نحرم ما أحله .. ولكن التطور أن نفهم القضايا والمشاكل الجديدة التى تأتى مع تغير المجتمعات وتقدم العلوم ونضعها فى الإطار الشرعى السليم .. ولا تبديل لحكم الله .. الحلال هو الحلال .. والحرام هو الحرام .. ولكن أفعال البشر هى التى تتغير وهذا ما يحتاج إلى الاجتهاد وليس هناك ما يمنع الفقهاء المؤهلين من الاجتهاد .

وسألوه : كيف يرى نهاية العنف فى المجتمعات الإسلامية ؟ .

فأجاب : إن كل حل للمشاكل عن طريق العنف والإكراه مصيره الفشل .. لأن العقائد لا تستقر فى الضمائر بالقوة والإكراه .. وحل الخلافات بالإكراه يؤجل الانفجار ولا يحل الصراع .. لا يحل الخلافات إلا الحوار النزيه الذى يهدف إلى الوصول إلى الحق والصواب .. وفى القرآن الكريم آيات فيها حوار بين الله والملائكة ، وبين الرسل وأقوامهم ، وبين الله والشيطان ، مما يدل على أن الحوار هو الوسيلة الوحيدة لإظهار الحق .. الذى يلجأ إلى العنف هو الذى يريد أن يفرض الباطل .. عندما نرى من يقتل إنسانا آمنا ويقول : إن ذلك من أجل إعلاء الشريعة .. أى شريعة ؟ .. وأى دين ؟ .. وأى خلق ؟ .. وهل يمكن أن يرضى الله عن قتل المسلم للمسلم ؟ والمسلمون جميعا يعلمون أن الله أمرهم فى كتابه ﴿ولا تعتدوا﴾ .. وهل وضع قنبلة فى سفارة يمكن أن يكون تنفيذا لأمر الله ؟ .. هذا تشويه لشريعة الله .. بل هو عدوان على شريعة الله ..

وسألوه : هل وضع الإسلام المرأة فى مرتبة أقل من الرجل .. ؟

وأجاب : إن الله يحاسب الرجل والمرأة دون تفرقة : ﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ .. وفى القرآن المرأة والرجل من أصل واحد .. وكل تقييد لحق المرأة فى التعليم أو العمل فى حدود ما أحل الله هو جهل بالشريعة ..

وسألوه : ما موقفه مع غير المسلمين .. ؟

فأجاب : الناس متساوون فى الحقوق والواجبات .. يتساوى أبناء الوطن الواحد .. أما العقائد فلكل إنسان عقيدته ولا إكراه فى الدين .. ولو أجبرنا فردا واحدا على اعتناق الإسلام لكان نكبة على الإسلام .. من يدخل الإسلام يجب أن يدخله عن اقتناع ، وبإرادة حرة ، ويجب أن نتأكد أنه لا يفعل ذلك متأثرا بأى ضغط أو مصلحة .. وفى مصر المسلمون والمسيحيون يعيشون معا على قدم المساواة ودون أى تفرقة .. ولا تفرقة بين من يحملون الجنسية المصرية وأمر الله لنا : ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ..﴾ .

وسأله مذيع آخر لمحطة تليفزيون عربية .. ماذا تقول للمسلمين فى أوربا عموما وفى ألمانيا بالذات .. ؟

وأجاب : أوصيهم وأوصى نفسى بالتمسك بالفضائل .. وألا يهملوا لغتهم .. وأن يعيشوا فى هذه البلاد معمرين لا مخربين .. مصلحين لا مفسدين .. وأن يلتزموا بأدب الضيافة فى البلاد التى تستضيفهم ، وفى نفس الوقت أنصح البلد المضيف أن يعامل أبناء الجالية الإسلامية معاملة كريمة وألا يضع تفرقة بين الناس بسبب العقائد ..

* * *

بعد ذلك كان هناك حوار آخر على مائدة غداء بدعوة من يورجن موليمان

وزير الاقتصاد السابق ورئيس جمعية الصداقة العربية الألمانية ، والدكتور فولكمار كولر وزير الدولة السابق ورئيس لجنة التخطيط بمؤسسة كونراد اديناور .

وقال شيخ الأزهر فى هذا الحوار : لا يجوز تحميل الدين المسيحى أو الدين الإسلامى مسئولية أى عمل من أعمال العنف التى تحدث فى أى مكان فى العالم .. وطبيعى أن مسئولية كل دولة محاربة السلوك الإجرامى مهما كانت الدعاوى التى يحاول أن يبرر بها جرائمه ، ومسئولية كل دولة أن تعمل على إزالة أسباب العنف فى المجتمع .. ولابد أن يكون الحوار هو الوسيلة الوحيدة لحل المشاكل وتحقيق الأهداف وليس العنف .

وبعد الغداء التقى شيخ الأزهر مع أعضاء جمعية الصداقة العربية الألمانية ومؤسسة كونراد اديناور فى قاعة المحاضرات فى المركز العلمى فى بون ..

وكان الحشد يضم صفوة من المفكرين وقادة الرأى وممثلى الجماعات والتجمعات المختلفة ، وكان محور المناقشة موضوع : « الإسلام وأوربا » ..

وقال شيخ الأزهر :

أحب أن أوضح فى البداية حقائق لا خلاف عليها بين فقهاء المسلمين :

الحقيقة الأولى : أن الأديان السماوية جميعا ، بل إن العقول السليمة جميعا متفقة على أن هناك فضائل يجب اعتناقها مثل الصدق ، والعدل ، والرحمة ، ونصرة المظلوم ، وحرية الإنسان ..وأن هناك رذائل يجب اجتنابها مثل الكذب ، والظلم ، والاعتداء على الحريات التى منحها الله للإنسان . وقد جاء فى القرآن أن كل نبى أرسله الله إلى الناس كانت دعوته الأولى لقومه هى : اعبدوا الله وحده ، وكانت رسالته هى إرساء الأخلاق .. وسعادة الإنسانية رهن بإقرار مبادئ الأخلاق التى دعت إليها الأديان .

الحقيقة الثانية : أن الأديان عامة ، والإسلام الذى أتحدث بلسانه ، تمتاز بالوضوح ، فلا توجد فى الشريعة الإسلامية أسرار ، أو أمور خفية وأمور معلنة ، أو ألغاز يصعب فهمها على العقل السليم ، ولكن شريعة الإسلام فيها وضوح كامل .. فى العقائد نحن نعبد الله الواحد .. هو الله الذى يعبده المسيحيون واليهود .. هناك إله واحد خالق ، وليس لكل دين إله خاص به .. والإسلام يأمر المؤمنين به باحترام جميع الأديان وجميع الأنبياء ﴿لا نفرق بين أحد من رسله﴾ .. والعبادات فى الإسلام شرعها الله لتطهير الإنسان والارتقاء بالحياة الإنسانية ..

الصلاة مفروضة لكى تنهى عن الفحشاء والمنكر .. الزكاة لمساعدة الفقراء .. الصيام لتدريب الإنسان على الصبر وقوة الإرادة والإخلاص لله .. وهكذا فالحياة الإنسانية الراقية هى الهدف ، ولذلك لا صحة لما يقال أحيانا من الجاهلين بأن هناك تصادما بين الدين والحياة .. أو بين الدين والتقدم .

الحقيقة الثالثة : أن الناس فى نظر الإسلام جميعهم من أب واحد وأم واحدة ، فكل شعوب العالم بينهم قربى ، ولذلك يجب أن يتعاونوا من أجل نشر السلام ، والأمان ، والفضائل ، والرخاء .

الحقيقة الرابعة : أن العقل وكذلك العلم ليس مقصورا على أمة واحدة ، فكل الشعوب وكل البشر خلقهم الله وفيهم عقول لا تقل ولا تزيد على عقول غيرها من الشعوب ، وكل شعب لديه علوم يمكن أن تفيد الشعوب الأخرى ، وكل أمة فى إمكانها أن تتعلم من غيرها .. الشرق يأخذ من الغرب ما ينفعه .. والغرب يأخذ من الشرق ما ينفعه .. وأنا لست مع الذين يقولون : إن الصراع بين الحضارات محتوم ، ولكنى .. مع الذين يقولون : إن العقل السليم يدعونا إلى نبذ فكرة الصراع والتمسك بفكرة التعاون .. تعاون الحضارات .. وحوار الحضارات .. والإمام الغزالى له عبارة بليغة يقول فيها : ما من عالِم فى فن

إلا وهو تلميذ لغيره فى فن آخر .. قد يكون شيخ الأزهر أستاذا فى العلوم الدينية ولكنه تلميذ فى الطب عليه أن يتعلم من أساتذة الطب .. أو فى علوم الفضاء .. وهكذا الأمم والحضارات .. وبذلك فإن فكرة الصراع قائمة على غير أساس .. وفكرة التعايش بين الحضارات .. والاعتماد المتبادل .. والتفاعل هى الأقرب إلى الواقع والعقل ..

حوار الحضارات ضرورى للإنسانية ، ولكن يجب ألا يكون هذا الحوار قائما على سوء الظن .. أو الغرور والتعالى .. الحوار يجب أن يكون هدفه زيادة التفاهم .. والوصول إلى الحق .. وتحقيق السلام والرخاء لكل الشعوب .. والمساعدة فى تقدم البشرية ككل .. والإسلام يدعونا إلى الحوار مع الآخرين .. وأن تكون دعوتنا دائما بالإقناع .. بالحكمة والموعظة الحسنة .. وأن يكون الجدل بأحسن وسيلة وليس بالعنف أو الضغط أو الإكراه .. والحروب لم تحل المشاكل فى كل مراحل التاريخ .. وكذلك الإرهاب والقتل والتخريب لا يمكن أن يحقق أهدافا نبيلة .. الأهداف النبيلة لا يمكن تحقيقها إلا بوسائل نبيلة ..

الحقيقة الخامسة : أن الأديان السماوية جميعها وعلى رأسها الإسلام قررت أن كل إنسان مسئول عن تصرفاته وسلوكه وأقواله ، ولا تلقى المسئولية على غيره ، لذلك أقول : إذا رأيتم جريمة إرهاب أو تخريب انسبوا الجريمة إلى مرتكبها ولا تنسبوها إلى دين لمجرد أن المجرم يعتنق هذا الدين .. فليس هناك دين يحرض المؤمنين به على ارتكاب الجرائم من قتل أو تخريب أو اعتداء على الأرواح والأموال والأعراض .. فى كل دين هناك عقلاء وسفهاء .. والاستقامة والانحراف من خصائص البشر ، وليست من خصائص الأديان ، لذلك أقول : لا تنسبوا إلى الإسلام ما يرتكبه بعض المسلمين من جرائم ، فهناك جرائم مماثلة يرتكبها أصحاب الديانات الأخرى وهى انحراف عن دعوة هذه الأديان .

الحقيقة الأخيرة : أن شريعة الإسلام تقيم العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين على أساس التعايش والقبول والتعاون وترك اختلاف العقائد لله هو الذى يفصل بين الناس فى اختلافهم .. ومادام غير المسلمين لا يعلنون علينا حربا ، ولا يسيئون إلى ديننا أو أوطاننا فإننا نتعامل معهم على قدم المساواة : ﴿فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم .. ﴾ ولا يأذن الله بالقتال إلا لرد العدوان : ﴿وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين .. ﴾ المسلمون يجب أن يدافعوا عن أنفسهم .. ومن قتل دفاعا عن نفسه أو عرضه أو ماله فهو شهيد ..

الخلاصة أن الإسلام ليس دين عدوان ولكنه دين تعاون وسلام ..

وعلق الوزير السابق موليمان : إن دعوة الإمام الأكبر للحوار بين الحضارات تمثل أهمية كبيرة بالنسبة لنا فى ألمانيا .. والعداوات غالبا تكون نتيجة معرفة مشوهة أو معلومات غير دقيقة والحوار يوضح الحقائق .. ونحن حريصون على الحوار مع الإسلام ليس فقط لأن العالم الإسلامى قريب من أوربا ، ولكن لسبب أهم هو أن الإسلام يعيش بيننا ، وهناك أعداد كبيرة من المسلمين فى ألمانيا ، ونريد حماية ألمانيا من الصراعات .

وقال ممثل إحدى الجماعات المسيحية : لا شك أن زيارتكم بالنسبة لنا مهمة جدا لأنها تصحح المفهوم الخاطئ والصورة السيئة فى الغرب عن الإسلام .

وقال الإمام الأكبر : إننى أطالب الغرب أن يعرف الإسلام من مصادره ليس عن طريق وسطاء يشوهون صورة الإسلام .. إذا أردت أن تعرف شيئا عن الطب فإنك تسأل الأطباء ، وكذلك فى الهندسة وسائر العلوم .. ولكن حين تريد معرفة الشريعة الإسلامية وأحكامها فكيف تأخذ معلوماتك عن غير المتخصصين .. وكما فى كل مجال هناك الدخلاء .. هناك من يدعون

معرفة الطب ولكن من يأخذ معلوماته منهم يتعرض لخطر كبير .. كذلك فى الدين .. هناك دخلاء على الشريعة الإسلامية يدعون العلم بها .. وما أكثر الذين يتاجرون بالأديان لتحقيق مآرب شخصية .. إننى أطالب الغرب بأن يأخذ الإسلام عن الفقهاء الأمناء المخلصين المتخصصين ، وليس عن المدعين أو المتاجرين بالإسلام ..

وقال الدكتور كولر المفكر الألمانى المعروف : لقد شرحتم بوضوح أن الأفكار الأمريكية عن صراع الحضارات خطأ ، وأن الحوار بين الغرب والإسلام ممكن ، وعلينا أن نهدأ فى هذا الحوار ، والمسلمون فى ألمانيا لهم مطالب ، ولكننا لا نعرف مع من نعقد اتفاقات لتلبية مطالبهم .. ليس هناك جهة إسلامية واحدة يمكن الحوار معها ..

وقال الإمام الأكبر : إننا مستعدون للحوار فى كل وقت وكل مكان .. والأزهر مستعد لأن يقدم كل عون ممكن للمسلمين فى ألمانيا .

وسأل ممثل جماعة أخرى : قلتم : إن أحكام الإسلام واضحة وليس فيها ما هو فى الخفاء ، وقلتم : إن الحوار هو دعوة الإسلام ، وقلتم : إن الإسلام دين تسامح ، ونحن نرى ذلك فيكم وفى الأزهر وفى مصر عمومنا ، ولكن هناك أئمة آخرون أقل تسامحا وأكثر عنفا .. هل أقمتم معهم حوارا .. ؟

وأجاب شيخ الأزهر : شكرا لهذه الصراحة .. وأحب أن أقول : إن المسلمين بشر وليسوا ملائكة .. فيهم المحسن والمسىء مثل أهل الديانات الأخرى .. وفيهم المتسامح والمتشدد .. وفيهم العاقل والسفيه .. أنا لا أقول أقيموا الحوار مع الجميع ، ولكن أقول : أقيموا الحوار بين العقلاء فى كل جانب .. وبين الأسوياء وبين المصلحين .. وهم الأغلبية والقاعدة .. والأزهر يتحدث عن مصر وليس عن كل البلاد الإسلامية .. الأزهر يفتح أبوابه لأبناء

العالم الإسلامى جميعا ليتعلموا فيه .. ولكنه لا يمارس سلطة دينية على العالم الإسلامى .. وطبعا نحن نحتاج إلى حوار بين المسلمين أنفسهم .. فهناك مذاهب واجتهادات مختلفة .. وكذلك يحتاج المسيحيون إلى حوار بين المذاهب المختلفة .. وفى نفس الوقت يمكن الحوار بين الأديان بحثا عن العوامل المشتركة وأسس التعاون بينها لخير البشرية .. لتقليل مساحة العنف وزيادة مساحة العدل والتفاهم .

وقال ممثل جماعة أخرى : كيف تدخل الأزهر لتفريق نصر أبو زيد عن زوجته عقابا على آرائه .. ؟

وأجاب شيخ الأزهر : حقيقة الأمر أن الأزهر لم يتدخل .. الحقيقة أن هناك محاميا تقدم إلى المحكمة وحصل على حكم قضائى .. وانتهت المسألة كلها بحكم قضائى .. والقضاء فى مصر مستقل ولا سلطة لأى جهة عليه .. ونصر أبو زيد يستطيع أن يعود إلى مصر فى أى وقت . والإسلام ليس دينا همجيا يدين الناس دون أسباب .. لقد منح الله الحق لكل إنسان فى اختيار الدين الذى يناسبه ، والإكراه فى الدين مرفوض بأمر الله ، ولابد أن تعلموا أن مصر ليس فيها محاكم دينية وليس فيها محاكمات دينية ..

وانتهى الحوار بعد ساعات ..

وكان هناك لقاء آخر فى الانتظار ..

* * *

كان اللقاء التالى مع مجلة « فوكس » وهى الآن أكثر المجلات الألمانية توزيعا وشعبية ، ودار الحوار كما يلى :

س : ما الفرق بينك وبين شيخ الأزهر السابق .. ؟

جـ : أعتقد ليس هناك فرق .. أنا والإمام الأكبر الراحل متفقان فى أصول

الدين ولا نختلف فى أمر ثبت فى الدين بالضرورة .. أما الفروع فقد نختلف فى بعض الاجتهادات والتفسيرات حول موضوعات ليست من أركان الإسلام .

س : هو عارض مؤتمر السكان وأنت أيدته وهو عارض ختان البنات وأنت أيدته .. ؟

جـ : أنتم هكذا تخلطون بين الأصول والفروع .. وهل ختان البنات من أصول الإسلام .. ؟ هذه خلافات ليست خلافات جوهرية .. هى خلافات فى أمور فرعية مما يجوز فيها الخلاف .. أما الأصول فالجميع متفقون عليها دون أى خلاف .

س : أنت أصدرت فتوى بأن النساء المغتصبات فى البوسنة لهن الحق فى الإجهاض .. ؟

جـ : نعم وأنا فى ذلك أتفق مع جمهور المسلمين وهم يجيزون للمرأة الإجهاض فى الشهور الثلاثة الأولى ولو لغير سبب طبى .. وبالنسبة للاغتصاب فإن إبقاء ابن من حرام نتيجة اعتداء لا يمكن إكراه المرأة عليه لأنه أمر غير إنسانى وغير أخلاقى ..

س : هل تصل الفتاوى التى تصدرونها إلى الجماعات الإسلامية .. ؟

جـ : تصل إليهم وإلى غيرهم لأنها معلنة .. ومن أراد أن يناقشها فنحن نرحب بالحوار دائما .. والفتوى رأى .. وهى غير ملزمة .. لا إلزام لأحد بالفتوى التى أصدرها .. أنا أين الحكم ومن يخالفه يتحمل المسئولية أمام الله .. الله هو الذى يحاسب وليس أنا .

س : هل طلبت الجماعات منك أن تصدر فتوى ما .. ؟

جـ : لا .. لم يحدث أبدا ..

س : حتى الآن سقط ٦٠ ألف قتيل فى العالم الإسلامى ، وتقول الجماعات التى قتلتهم إن ذلك فى سبيل الله .. فهل هو كذلك .. ؟

جـ : لا .. كل عدوان على نفس إنسانية حرام .. ولم يأمر الله أبدا بقتل الآمنين .. ومن يقول إن قتل الأبرياء فى سبيل الله فهو كذاب .

س : ولكن هناك من يقتل ويقول : إن ذلك فى سبيل الله .

جـ : إذا كان دفاعا عن الأرض أو المال أو العرض فهذا دفاع مشروع عن النفس وهو فى سبيل الله .. وإذا لم يكن دفاعا ضد عدوان فهو جريمة .

س : وهل ترى أن كل قتيل من الفلسطينيين شهيد .. ؟

جـ : إذا هاجمنى من يريد قتلى واغتصاب أرضى فهل هناك دين يأمرنى بالسكوت والاستسلام .. الدفاع عن النفس مشروع فى كل الأديان والقوانين والشرائع .. والمبدأ فى الإسلام أن من مات دفاعا عن عرضه أو ماله أو أرضه فهو شهيد .

س : الجماعات التى تقتل المسلمين فى البلاد الإسلامية تقول إنها تجاهد فى سبيل الله .. فهل هذا هو الجهاد .. ؟

جـ : كثيرا ما تنسب جماعة نفسها إلى الإسلام ظلما وزورا ، فإذا كنت تقصد جرائم قتل الأطفال والنساء والرجال الآمنين فإن كل من يفعل ذلك الإسلام برئ منه ، وجماعات القتلة بالغدر لا تنتمى إلى أى دين من الأديان وإنما هى جماعات تخريبية تعمل ما يخالف تعاليم الأديان .

س : وكيف ترى التعامل مع هذه الجماعات : بالحوار أم بالقوة ؟

جـ : علينا أن نعيدهم إلى الطريق الصحيح لفهم الدين .. ونحن دائمًا على استعداد للحوار مع من يريد أن يعرف حقائق الدين .

س : هل ترى أن هناك عوامل مشتركة بين الأديان .. ؟

جـ : طبعا .. كل الأديان قائمة على عبادة الله .. والله واحد .. والفضائل الأخلاقية في الديانات السماوية واحدة .. الخلاف فى العقائد وليس فى الفضائل والأخلاق ..

س : هل تقول ذلك علنا أم تخاف رد فعل الجماعات .. ؟

جـ : أنا كشيخ للأزهر أقول حكم الله فى أى مكان .. ولا أخشى إلا اللهوحده ..

* * *

وجاء الدور على إذاعة ألمانيا لحوار طويل جاء فيه :

س : ما أهداف هذه الزيارة وأنت أول شيخ للأزهر يزور ألمانيا .. ؟

جـ : العالم كله يحتاج إلى تبادل المعرفة .. نحن نريد أن نعمق العلاقات بيننا وبين أوربا عموما وألمانيا خاصة .. وألمانيا فيها نسبة كبيرة من المسلمين ويهمنى أن ألتقى بهم .. كما يهمنى أن أوضح حقيقة الإسلام فى مواجهة حملة التشويه التى تصور الإسلام على غير حقيقته ..

س : هل هى جولة استطلاعية لبحث بعض الموضوعات التى تتعلق بالحوار بين الإسلام والمسيحية .. ؟

جـ : ليس الهدف النزهة .. ولكن الهدف هو الحوار بالطبع .. وأن نتفق على خطوات تزيد التعاون بيننا .

س : الملاحظ أن سوء الفهم يزداد فى الغرب تجاه الإسلام فما العمل .. ؟

جـ : أمامنا أن نتعاون .. وأن نمد أيدينا إلى العقلاء لكى نشرح لهم حقائق

الإسلام .. الإسلام دين سلام .. وحرية .. ومساواة .. وعدالة .. وتسامح .. والحمد لله أننى أجد فى كل مكان من لديه استعداد للحوار والتفاهم والاعتراف بالحق .

س : ورأيك فى قضية سلمان رشدى وإصرار إيران على قتله .. ؟

جـ : سلمان رشدى كاتب فاشل ومغمور أراد تحقيق الشهرة والمال بالإساءة المتعمدة إلى الإسلام ورسوله وآل البيت وأنا ضد القتل ..القتل لا يحسم قضية ولا يظهر حقيقة . ولقد التقيت مع أسقف كانتربرى فى لندن واقترحت عليه تشكيل لجنة من ثلاثة من أكبر علماء الدين الإسلامى والمسيحى واليهودى وتجتمع فى بريطانيا باعتبار أن سلمان رشدى يحمل الجنسية البريطانية .. وتتولى هذه اللجنة مناقشة سلمان رشدى حول الاتهامات التى وجهها إلى الإسلام وإلى الرسول صلى الله عليه وسلم وإلى زوجاته وآل بيته ..وتسأله من أين أتى بهذه الاتهامات والبذاءات .. وهل هناك أى مصدر تاريخى اعتمد عليه فيما قال .. ؟ فإذا توصلت اللجنة إلى أن ذلك كله كذب وافتراء فعليها أن تعلن ذلك فى تقريرها وتقول للعالم أن سلمان رشدى كذاب .. وهذا يكفينا ..

س : لماذا يصادر الأزهر الكتب والأعمال الفنية .. ؟

جـ : الأزهر لا يصادر .. الأزهر يوضح الحقائق والأحكام الشرعية ، ومن شاء أن يلتزم بأحكام الشريعة أو يخالفها فحسابه عند الله .. وإذا وجدنا فى الأعمال الفنية إساءة أو أخطاء فواجبنا التصحيح ..

س : هل أصدرتم فتوى بأن خروج المرأة للتعليم أو العمل حرام ..

جـ : ليس هناك فتوى بذلك .. بل إن الأزهر فيه عشرات الآلاف من الفتيات فى مختلف الكليات الدينية والعملية وهناك عشرات السيدات يشغلن وظيفة أستاذ فى جامعة الأزهر وحاصلات على أعلى الشهادات من مصر ودول

العالم المختلفة .. والمرأة فى مصر تعمل فى كل المجالات .. المرأة فى مصر طبيبة ومهندسة ومدرسة وصحفية وتعمل أيضا فى مجال الدعوة .. ليس هناك مجال محرم على النساء فى مصر ومادامت ملتزمة بأحكام الدين فليس هناك من يمنعها باسم الدين من الخروج للعمل ..

وفى المساء كان الحوار ممتدا على مائدة عشاء ضمت عشرات من الشخصيات فى بيت سفير مصر فى بون السفير محمود مبارك .

* * *

فى الصباح مبكرا كان حوار آخر فى مؤسسة كونراد اديناور مع رئيس مجلس الإدارة وأعضاء مجلس الإدارة والمدير التنفيذى ، وقال الدكتور لانجوت رئيس المؤسسة :

– لقد تابعنا آراءكم فى قضايا تهمنا كألمان ، ونحن نريد أن نزيد مجال عملنا فى مصر .. ونحتاج إلى رأيكم فى ذلك .

وقال شيخ الأزهر :

– شكرا لما تقدمونه ونحن نرحب بكم ..

قال الدكتور لانجوت :

– ندخل فى الخطوات العملية .. ونرجو أن تحددوا مسئولا فى الأزهر لتحديد ميادين التعاون مع المؤسسة وأحب أن أقول لكم إن مجلس إدارة المؤسسة قرر أن يكون محور العام القادم هو الحوار بين الأديان .

وأجاب شيخ الأزهر :

– لدينا عدد كبير من الأساتذة تخرجوا فى الجامعات الألمانية ، واللغة الألمانية تدرس فى كلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر ، وصديقى الدكتور

محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف يمكن أن يكون حلقة الاتصال بين مؤسستكم والأزهر . وأعتقد أن العمل يجب أن يكون فى البلدين : فى ألمانيا وفى مصر .

وقال رئيس المؤسسة :

– نعم .. نريد أن يعرف الألمان حقيقة الإسلام ولذلك سنعقد مؤتمرا فى شهر يونيو القادم عن الإسلام والشريعة ، واسمحوا لى أن أقدم لكم الدعوة لحضور هذا المؤتمر .

شيخ الأزهر : أرجو أن أتمكن من الحضور أو ينوب عنى أحد الزملاء .

رئيس المؤسسة : فى ندوة الأمس طرحتم فكرة الحوار بين الحضارات .. وهذا محور أساسى فى نشاطنا الدولى .. فكيف ترون استعداد الغرب للحوار ؟ .

شيخ الأزهر : أرى أن هناك استعدادا للحوار .. والأزهر يرحب بالحوار بكل صوره ، لأنى أعتقد أن الحوار هو خير وسيلة للوصول إلى التفاهم وتقارب العقول وحل المشكلات بأسلوب حضارى ، مادام هدف الحوار تقريب المسافات والبحث عن نقاط التقاء .

رئيس المؤسسة : أستطيع أن أؤكد أن الاستعداد للحوار فى ألمانيا يزداد ولكن هناك سؤال يحيرنا .. من الذى يمثل الإسلام ..؟ نحن نعرف أن الأزهر له دور مؤثر فى العالم الإسلامى ، ولكن نعلم أيضا أن العالم الإسلامى فيه تيارات مختلفة .. وهناك قرارات وتصرفات فى العالم الإسلامى لا نستطيع أن نفهمها جيدا ، ولذلك سررنا بحديثكم عن الإسلام على أنه دين التسامح .. وسعدت حين رأيتكم فى حديث ودى مع الأسقف القبطى المصرى فى حفل العشاء أمس .. وهذا شىء يهمنا جدا ..

شيخ الأزهر : ليس غريبا أن تكون هناك تيارات واختلافات فى العالم

الإسلامى .. فهناك تيارات واختلافات أيضا فى العالم المسيحى .. وليس هناك جهة واحدة تمثل كل المسيحيين فى العالم .. وكذلك ليس هناك جهة واحدة تمثل كل المسلمين فى العالم ولذلك نقول إن الحوار مطلوب بين المسلمين أنفسهم .. وبين المسيحيين فيما بينهم .. وبين المسلمين والمسيحيين .. وهكذا .. هناك خلافات ونحن ندعو إلى التفاهم لتقريب شقة الخلاف .. وأحب أن أقول لكم أن علماء الأزهر يتفقون مع غيرهم من علماء المسلمين فى أصول الإسلام ، والمسائل التى تتعلق بالعقائد لا خلاف عليها بين المسلمين جميعا .. الخلافات فى الفروع .. وفى الفروع وجهات نظر واجتهاد .. ويمكنكم الحوار مع جميع الاتجاهات . وثق أنك لن تجد خلافات جوهرية بين علماء المسلمين .. أما إذا كنت تقصد الجماعات التى لم تفهم الإسلام فهما سليما وتمارس العنف والقتل فهذه الجماعات تختلف مع علماء الاسلام جميعا اختلافات جوهرية .. هؤلاء لا يمثلون الإسلام والحوار معهم هو حوار من يمثل نفسه ولا يمثل الإسلام . أما علاقتنا فى مصر مع الأخوة المسيحيين فهى علاقات قوية .. نحن أبناء وطن واحد .. ولا تفرقة بين المصريين على أساس العقيدة وتربطنى صداقة شخصية مع قداسة البابا شنودة بطريرك الأقباط منذ سنوات طويلة ..

رئيس المؤسسة : نحن نعارض نظرية هنتنجتون عن حتمية الصراع بين الغرب والإسلام .. ونحن أيضا نرى أن جماعات الإرهاب تجد فرصة للعمل .. ونلاحظ أن قاعدتها من الطبقات الفقيرة وسمعت أن لها تأثيرا فى بعض الجامعات ..

شيخ الأزهر : الحياة الإنسانية لابد أن يكون فيها الصراع بين العقل السليم والعقل المريض .. ونحن جميعا نعترف بأن هناك أخطاء فى الشرق وفى الغرب .. ومن جانبنا نحاول تصحيح الأخطاء .. والأزهر يشرح ويوضح حقائق الإسلام بأسلوب يتفق مع العقل السليم .. أما أصحاب العقول المريضة

فهم فى كل مكان ، وفى كل دين ، وتأثيرهم يكاد يكون معدوما ، ومصيرهم حتما إلى زوال ..

وعلى مائدة الغداء قال الدكتور لوتار كرافت المدير التنفيذى لمؤسسة كونراد اديناور :

– لقد عقدنا مؤتمرا مع أصحاب الديانة الكونفوشية ، وأعتقد أن الحوار مع الإسلام له أهمية خاصة لنا بسبب العلاقات الوثيقة بيننا منذ عصور بعيدة ، وبسبب آخر هو وجود ملايين المسلمين بيننا ونريد أن نتعلم كيف نتعامل معهم ونتفهمهم .. نحن نهتم بالحوار عموما من أجل تعميق الديمقراطية ، من أجل حماية المجتمع من الانقسام والتوتر ، ومن أجل نشر ثقافة التسامح ، ونهتم بالحوار بين طبقات المجتمع لتعبر كل طبقة عن مشاكلها ومطالبها .. وهذه المؤسسة عمرها ٤٠ عاما الآن ، ونشاطها يتخطى الحدود ، وهناك اتصالات بيننا وبين مؤسسات مماثلة فى مختلف دول العالم .. ونحن نقوم أساسا بتثقيف الشباب سياسيا ، ولنا مركزان للتدريب السياسى ، ولنا أيضا مكاتب للتثقيف السياسى منتشرة فى أنحاء البلاد ، وكذلك نحن نهتم بالنشاط العلمى ، ولدينا أرشيف عن تاريخ ألمانيا يضم كل الوثائق من محاضر اجتماعات سياسية أو مضابط البرلمان أو مذكرات الشخصيات السياسية ، ولكل مؤرخ الحق فى أن يستفيد من هذا الأرشيف .. خاصة أننا بعد توحيد ألمانيا حصلنا على أوراق ووثائق ومعلومات مهمة عن الأحزاب والنشاط التاريخى والأحداث المهمة والشخصيات البارزة فى ألمانيا الشرقية منذ تقسيم ألمانيا ، ونقلنا ١٥٠ طنا من الوثائق إلى مقر المؤسسة فى بون وقمنا بتصنيفها وفهرستها وهى الآن متاحة لمن يبحث فى تاريخ هذه الفترة من الكتاب والمؤرخين والصحفيين ..

وأضاف الدكتور كرافت :

– مؤسستنا مهتمة بالبحوث فى مجالات البحث العلمى السياسى

والاقتصادى والسياسة الأمنية ، وتشجع البحوث فى السياسة الألمانية والسياسة الدولية – ونحن نقدم المشورة للمجالس المحلية فى الموضوعات التى تطلب منا دراستها وإجراء بحوث حولها . نحن أيضا نشجع المتفوقين من الشباب ليستمروا فى التفوق ونقدم لهم المنح والمساعدات ، وهناك ٦ آلاف شاب حصلوا على منح وأصبحوا من أصدقاء المؤسسة . والميزانية الخاصة بالمؤسسة مقسمة بالتساوى .. النصف للبحوث والأنشاطة داخل ألمانيا .. والنصف الآخر للتعاون الدولى .

ويشارك فى إدارة هذه المؤسسة شخصيات ألمانيا بارزة فى المجالات السياسية والعلوم وممثلون من الولايات ، والمستشار هيلموت كول عضو فى مجلس الإدارة منذ ٢٩ عاما .. وهو يشارك فى أعمال ونشاط المؤسسة . أما التمويل فإن كل ما له علاقة بالمصلحة العامة فى ألمانيا يعتمد على الدعم المالى من الدولة .. ومع أننا نحصل على التمويل من الدولة إلا أننا مؤسسة مستقلة ، نحصل عن تمويل من وزارات الخارجية ، والبحث العلمى ، والتعاون الاقتصادى .. وفى ألمانيا ٥ مؤسسات مماثلة حسب الاتجاهات السياسية للأحزاب الألمانية .. أما مؤسسة كونراد اديناور فإنها تحصل من الدول على ٢٠٠ مليون مارك سنويا .. والبرلمان هو الذى يقرر ميزانية هذه المؤسسات .. وهدف هذه المؤسسات هو التربية الديمقراطية ، وتشجيع البحث السياسى والاقتصادى من أجل تطوير المجتمع الألمانى باستمرار ، ووضع الحقائق والبدائل أمام من يتخذون القرار السياسى ، وتقديم الرأى والمشورة للبرلمان ووسائل الإعلام .. هذه المؤسسات هى الجسر بين المؤسسة السياسية والمجتمع وهى أيضا جسر يربط بين البحث العلمى والجامعات وبين المؤسسات السياسية وخاصة البرلمان .

وكان هذا الحديث عن مؤسسة كونراد اديناور مقدمة لحوار عن أوجه التعاون الممكنة بينه وبين الأزهر .. منح لأبناء الأزهر للدراسة فى ألمانيا ومنح

لأبناء ألمانيا الراغبين للدراسة فى الأزهر .. ونقل التكنولوجيا الحديثة إلى كليات جامعة الأزهر ، وكان الدكتور حسن شريف مستشارنا الثقافى النشيط حاضرا ومشاركا فى هذا الحوار الذى انتهى إلى الاتفاق على اعداد مشروع بروتوكول مشترك بين المؤسسة والأزهر لمناقشته فى القاهرة وبون وتوقيعه بعد ذلك من خلال وزارة الخارجية المصرية ..

وظهر من الحوار أن الألمان حريصون على الدراسة فى مصر عموما ، وفى الأزهر خاصة ، بنفس حرص المصريين على الدراسة فى ألمانيا ..

وقال الإمام الأكبر : هذا هو الحوار الحقيقى بين الحضارات .. أن نتعايش معا ، ونتبادل المعرفة ، ونتعاون جميعا على النهوض بالمجتمعات ونشر الفضائل .

* * *

جاء موعد لقاء مع وزير الخارجية الدكتور كلاوس كينيكل وهو فى نفس الوقت نائب المستشار الألمانى ..

كان وزير الخارجية مبتسما ابتسامة حقيقية وليست ابتسامة دبلوماسية .. وكان مرحا .. وطبيعيا .. ومتدفقا بالحيوية وهو يرحب بالإمام الأكبر .. وما كاد يجلس حتى ارتفع صوته :

– يا صاحب الفضيلة .. أود أن أرحب بكم ونود أن تكون هذه الزيارة بداية لقاءات بناءة بيننا .. لقد زرت مصر أكثر من مرة .. وفى كل مرة يزداد تقديرى للرئيس مبارك وارتباطى بعمرو موسى واعتبره صديقى .. وأمامى ملف كامل عنكم كل ما فيه طيب .. فأنت على رأس أكبر مؤسسة إسلامية فى العالم .. وأوربا ترغب فى إقامة حوار مع العالم الإسلامى ، ومنذ توليت وزارة الخارجية قررت عقد مؤتمر إسلامى ، ووجهت الدعوة إلى

عمرو موسى وللأسف تأجل هذا المؤتمر .. لدينا مشكلة تتبلور فى أوربا ولذلك نريد الحوار مع العالم الإسلامى .. الحكومة المصرية تلعب دورًا بارزا فى عملية السلام .. والرئيس مبارك دوره محورى .. ونحن على علاقة طيبة مع إسرائيل وإن كنا نختلف معهم فى بعض الأمور ..

وقال شيخ الأزهر : أولا أحب أن أشكركم على هذه الدعوة .. والأزهر يحمل رسالة الاعتدال والسماحة منذ أكثر من ألف عام .. ونحن نرى أن الأديان السماوية تتعاون على نشر الفضائل ، وخير وسيلة لذلك هى الحوار ، والأزهر يرحب بالحوار البناء الذى يسعى إلى الوصول إلى الحقيقة وخدمة الإنسانية ورفض العنف والظلم واغتيال الحقوق .. نريد أن يفهم بعضنا بعضا ونفهم الأديان على حقيقتها على لسان أهلها وليس على لسان أعدائها أو الجهلاء والمتاجرين بها .. فى القرآن أن الناس جميعا أوجدهم الله من أب واحد وأم واحدة .. ومادامو كذلك فالطبيعى أن يتعاونوا ومن غير الطبيعى أن تسود العداوة بينهم .. والأديان لا تدعو إلى شىء يتعارض مع العقل ..

وقال وزير الخارجية : نحن نتابع ما ينشر عنكم من أنكم حققتم تطورا مهما فى الاجتهاد والعلاقة بين المسلمين والمسيحيين واهتمامكم بحقوق الإنسان ، وهناك اهتمام بنظرية صراع الحضارات ونرى أن العالم لا يحتمل هذه الصراعات .. لابد من اتفاق على أن يخدم أهل كل دين أصحاب الديانات الأخرى .. والإسلام دين يعتنقه مليار إنسان ، وعندنا فى ألمانيا ٤ ملايين مسلم .. ومعظم المسلمين من أصل تركى ، وبيننا وبين تركيا مشاكل لأنها تريد أن تصبح عضوا فى حلف الأطلنطى ونحن لنا تحفظات .. ولابد أن يكون واضحا أننا نرفض دخول تركيا حلف الأطلنطى ليس لأنها دولة مسلمة ولكن لأسباب أخرى .. بسبب عدم حل مشكلة قبرص مع اليونان ، وموقفها من قضية الأكراد ، ومن حقوق الإنسان .. وأمامنا شعوب الاتحاد السوفيتى

المسلمة تحررت .. وهذا كله يجعلنا نحتاج إلى الحوار لكيلا نتحول إلى أعداء بعضنا البعض .. نريد الحوار أيضًا مع إيران وهم متشددون ويخلقون لنا صعوبات فى هذا المجال .. نحن نعرف أن الإسلام لا صلة له بالإرهاب والتطرف والاعتداء على حقوق الإنسان .. مثل هذه الأفكار غير صحيحة ولا تتفق مع العقل .. ونحن نريد الحوار لكى نصل إلى التسامح ، والاحترام المتبادل ، ولكى نبحث : ماذا تستطيع الديانات أن تقدم للإسهام فى تحقيق السلام فى الشرق الأوسط .. وماذا يستطيع الأزهر أن يقدم لدعم التفاهم المتزايد للحفاظ على الأمن والسلام فى المنطقة ؟ ..

شيخ الأزهر : هذه الآراء نحن نحترمها وأحب أن أقرر الحقائق الآتية :

أولا : أن الاختلافات فى العقائد لا يمنع من التعاون بين الأفراد والدول ، فالاختلاف قائم منذ وجدت الدنيا وإلى يوم قيام الساعة .. والعقائد فى قلب ويقين كل إنسان ولا يمكن تغييرها بالاكراه . ونحن فى مصر نعيش – مسلمين ومسيحيين – أخوة .. دون تفرقة .. والإسلام لا يعرف التفرقة فى الحقوق والكرامة الإنسانية بسبب العقيدة واللون أو الجنس .. وعندنا مبدأ : « الدين لله والوطن للجميع » ..

والحقيقة الثانية : أننا نؤيد كل حوار هدفه أن يفهم بعضنا بعضا .. وأن نتعاون من أجل إنصاف المظلوم ومنع الظالم من الاستمرار فى الظلم ..

الحقيقة الثالثة : أن أهل الديانات والحضارات جميعا لهم هدف واحد هو السلام والرخاء وإعلاء القيم الإنسانية وحقوق الإنسان ..

الحقيقة الرابعة : أن نظرية صراع الحضارات قائمة على غير أساس علمى أو منطقى .. الصراعات تقوم بسبب الأطماع والرغبة فى السيطرة وسلب حقوق الآخرين .. فإذا قامت العلاقات على العدل فلن يكون هناك سبب للصراع .. نحن نقول بتعاون الحضارات وتبادل المنفعة فيما بينها ..

وزير الخارجية : إن مصر لها ثقل كبير .. أنا أرى أن الرئيس مبارك رجل دولة عظيم .. وأقدر قيادته ودوره .. وأرى أن مصر دورها أن تحافظ على التوازن والتسامح .. وكذلك الاتحاد الأوربى يجب أن يعمل للمحافظة على التوازن .. والقيادة المصرية لها احترام وتقدير فى ألمانيا دائما .. ودور مصر أن تعمل لكيلا يحدث صراع بين الحضارات .. وأنا أعتبر أن زيارتكم هذه مهمة جدا .. وأنا أسألكم أن تدعو الله فى صلاتكم لهذا المسكين وزير خارجية ألمانيا ..

وهكذا استمر الحوار الودى .. ساعة ونصف الساعة .

ولم يكن ذلك كل ما دار فى حوارات شيخ الأزهر فى ألمانيا .. ومازال هناك الكثير والمثير .. !

٤ بين الإنصاف والعداء

شارك فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر فى الجزء الثانى من ندوة « أوربا والعالم الإسلامى » التى عقدت فى بيت ليسنج فى مدينة فولفينبوتيل فى مقاطعة سكسونيا الجنوبية وهى من أهم مقاطعات ألمانيا .. وشارك فى هذه الندوة عدد كبير من أكبر المستشرقين وأساتذة اللاهوت الألمان . وكانت فى هذه الجلسة الختامية أكثر من مفاجأة ..

فقد بدأت الجلسة بمحاضرة للبروفيسور الدكتور نيفونر بعنوان « كتاب ناتان الحكيم » الذى ألفه الكاتب الألمانى الشهير ليسنج وهى تدور حول التسامح عند المسلمين .

كانت المفاجأة أن محاضرة الدكتور نيفونر كانت دفاعا عظيما عن تسامح الإسلام على لسان أستاذ ألمانى مرموق مشهود له بالنزاهة العلمية .

بدأت المحاضرة بأن قال : إن المفكرين الأوربيين فى القرن ١٧ كانوا ينظرون إلى الإسلام على أنه دين التسامح ورأى بعضهم أن المسيحية ليست كذلك .. !

وكان المفكرون الأوربيون طوال القرنين ١٧ و ١٨ يتحدثون على الإسلام عن أنه دين تنوير واحترام العقل ، وسأذكر ثلاثة من أكبر المفكرين الغربيين . الأول هو هنرى ستاد وكان عالما فى الطب ، وقبل وفاته عام ١٦٧٦ ألف كتابا مهما جدا عن « محمد الرسول » وعن « مبادئ الإسلام » وكان هذا أول كتاب عن حياة محمد يكتب بالإنجليزية فى وقت كان الأوربيون ينظرون إلى الإسلام بشك وإلى محمد على أنه مخادع ..

وجاء هنرى ستاد وكتب بموضوعية فأنصف رسول الإسلام من حملة التشكيك والافتراء . ولم ينشر هذا الكتاب إلا فى عام ١٩١١ بعد الحروب الدينية الظالمة التى قامت باسم المسيحية ، وأشار إليها على أنها دليل على عدم التسامح بين المسيحيين ، وذكر أنه قرأ « القرافى » من علماء المسلمين ورأى فيه فكر التسامح والتنوير والتدين العاقل ، وأسس ذلك على أن الإسلام يقوم على مبادئ لا يستطيع أحد أن يختلف معه فيها ، مثل فكرة خلود الروح والحياة بعد الموت وأن الروح لا تفنى ، ومثل البعث يوم القيامة والحساب ، وقال هنرى ستاد : إنه ليس فى الإسلام غموض كما فى المسيحية ، وإن الإسلام يتفق مع العقل ، ومع الفطرة ، وكانت أهم عبارة قالها فى ذلك الوقت هى : أن كل إنسان يعيش ويفكر حسب الفطرة فهو مسلم ، وكل ديانة غير الإسلام ليست طبيعية .. وأكثر من ذلك كان هنرى ستاد : يقول : « إن الرسول محمد لم ينشر الإسلام بالسيف ، ولكن المسلمين بعده وسعوا بلادهم بالسيف ، ولم يلاحقوا غير المسلمين ، ولم يقتلوا المخالفين لهم فى العقيدة كما حدث فى المسيحية ، بل كان لأصحاب الديانات الأخرى حرية الاختيار والاحتفاظ بعقائدهم المخالفة وإعلان ذلك دون خوف فى ظل الدولة الإسلامية ..ووصل الأمر إلى حد أن أعلن هنرى ستاد أن الإسلام هو الدين الوحيد المتسامح .

هذا ما كتبه هنرى ستاد .. وهو بالطبع ليس مسلما .

* * *

وفى عام ١٧٥٢ كتب « ليسنج » لأول مرة عن الإسلام ، وقال للأوربيين : إن الإسلام دين لا يستطيع الحكم عليه إلا بعد دراسته دراسة جيدة ، ومن لم يفعل ذلك فلا يستطيع فهمه .. وكان « ليسنج » قد درس كل ما كتبه المستشرق الهولندى جورج سيل ، كما قرأ ترجمة القرآن وتاريخ العرب فى فترة الخلفاء ، وقرأ كل ما كتبه المستشرقون الذين كتبوا عن

الإسلام دون عداء أو تحيز مثل فون مارينى ، والمستشرق المشهور يوهانوبرايسكى الذى درس معه بالوثائق الاستشراقية فى الإسلام .

ويقول « ليسنج » : انظر إلى قانون محمد ماذا تجد فيه مما لا يتفق مع العقل .. ؟

المسلمون يؤمنون بإله واحد .. وبالآخرة حيث الحساب والثواب والعقاب ، من يعمل خيرا يجد خيرا ، ومن يعمل شرا جزاؤه العذاب ، وهذا هو منطق العقل .. ولماذا يتعالى المسيحيون على الإسلام بينما لم يتعال محمد على الأديان الأخرى .. إن التعالى دليل على عدم القدرة على إقناع الآخرين .. ومحمد ليست له معجزة .. وهو لم يكن محتاجا إلى معجزة .. لأنه كان يخاطب العقول .. بالمنطق .. وبالإقناع .. فإذا جاء من يقول : إنما أنا رسول من عند الله فإنه لا يحتاج إلى معجزة .. إنه يحتاج إلى أن يبلغ الرسالة التى أرسله الله بها .. فالإسلام دين بسيط ليس فيه تعقيدات ولا قضايا محيرة .. الإسلام دين يسهل الإقناع به دون معجزات .. وكل من يستعمل عقله لابد أن يتفق مع الإسلام ..

وكتب « ليسنج » نقلا عن « ريماروس » :

إننى أشعر أن كل شىء فطرى وطبيعى فى الديانة فإنه موجود فى القرآن ، وأعتقد أننى أفهم وأقتنع بسرعة بالقرآن ..

وكتب « ليسنج » إن ما يراه من عدم تسامح تجاه الإسلام هو أمر غير طبيعى .. فالمسلمون يسمحون للمسيحيين بأن يعيشوا معهم ، بينما المسيحيون يرفضون المسلمين .. !

والمسلمون يؤمنون بأن موسى رسول .. وأن المسيح رسول .. ويؤمنون بهما .. بينما ينكر المسيحيون أن محمدا رسول ..

« ليسنج » يقول : إن المسيحيين ليسوا متسامحين .. إنهم يعتقدون أن محمدا كذاب .. !

وهذه الأفكار التى جاء بها ليسنج جعلته يكتب مسرحية بعنوان « ناثان الحكيم » وتدور وقائعها فى بلاد المسلمين ..وفى نهاية المسرحية يتضح أن « ريحا » وهى بنت أحد اليهود شقيقة لمسيحى ، وأن أمهما المسيحية متزوجة من رجل مسلم مصرى ، وأنها فى الحقيقة ابنة أخت السلطان المسلم صلاح الدين ، وهى نهاية غير متوقعة .. وفى المسرحية « قصة الخواتم » حيث الأب الذى يملك خاتما فيه سر هو أنه يحمى من يملكه من الشرور والمهالك ، ولكيلا يظهر أنه يؤثر أحد أبنائه الثلاثة بهذا الخاتم دون أخويه الآخرين فقد صنع خاتمين غير حقيقيين مثل الخاتم الأصلى ، وأعطى لكل واحد من أبنائه خاتما ، وأوحى إليه أنه هو الخاتم الأصلى ، وبعد موت الأب اكتشف الأبناء الخدعة ، فلجأوا إلى القاضى لكى يحقق فى الأمر ، ويعلن أىّ الخواتم الثلاثة هو الخاتم الحقيقى ، وبعد التحقيق أعلن القاضى أنه من الأفضل أن يتصور كل منهم أن الخاتم الذى يملكه هو الخاتم الأصلى حتى لا يشعر اثنان من الثلاثة أنهما عاشا مخدوعين كل هذا العمر .. وكان « ليسنج » يقصد بالخواتم الأديان الثلاثة : المسيحية واليهودية والإسلام ، وهو يقدم للغربيين نصيحة هى ألا يبحثوا أى دين منها هو الدين الصحيح وأيها الزائف .. وعلى الأبناء الثلاثة أن يعترفوا بهذا الواقع ، وهو أن هناك ثلاثة أديان ، فإذا قالوا : إن أحد الأديان زائف فكأنهم يتهمون الأب بالخداع .. والأبناء فى النهاية لا ذنب لهم .. وفى هذه الفكرة بشير ليسنج إلى قول الله فى القرآن : ﴿ يخادعون اللهوهو خادعهم ﴾ .

ويعلن « ليسنج » رأيه على لسان القاضى الذى يقول للأبناء الثلاثة :

– حين يكون الواحد منكم مخلصا فإنه سيجد الخاتم الذى معه

حقيقيا ، وهذا ما يؤكد عليه ليسنج : المسلم هو كل من أسلم نفسه لله ، وإذا ذكرنا الفيلسوف الألمانى جوته الذى قال : إنه إذا كان الإسلام هو إسلام النفس لله ، فكلنا نعيش مؤمنين بالإسلام ونموت فى الإسلام .

وحين مات « ليسنج » أوصى بأن توزع ثروته بالتساوى على المسلمين والمسيحيين واليهود زكاة وصدقة حتى يدرك الجميع أن الناس جميعا إخوة ولا يجوز التفرقة بين الناس بسبب اختلاف دياناتهم .. وهذه الوصية نجدها أيضا عند الفيلسوف الفرنسى الكبير فولتير ..

وكان تعليق فضيلة الإمام الأكبر :

– إن ما قاله هذا الفيلسوف الألمانى عن الإسلام يفوق ما قاله المسلمون أنفسهم ، ولو انتشرت هذه الروح من التفهم والتسامح بين أصحاب الديانات فلن تكون فى العالم عداوات .. وساد العالم التعايش والتعاون كما يريد منا الله سبحانه وتعالى .

* * *

ثم تحدث البروفيسور الدكتور هوبون وقد اعتنق الإسلام منذ سنوات طويلة ، وهو الآن ممثل المسلمين الألمان ..

قال : إن محاضرة الدكتور نيفونر عن موقف « ليسنج » من الإسلام يجب أن تطبع وتوزع على كل المشتغلين فى الإعلام فى ألمانيا لكى يعرفوا أن مفكرا كبيرا مثل « ليسنج » أنصف الإسلام بعد أن درسه وفهمه فهما صحيحا .

وقال أيضًا :

– إننى أراقب أوضاع المسلمين منذ أربعين عاما ، وقد شعرنا بسعادة حين دعا رئيس ألمانيا فى ١١ ديسمبر عام ١٩٩٥ ممثلى الإسلام إلى مقره فى برلين ، وناقش معهم أوضاع المسلمين فى ألمانيا ، وطرح نظرية هنتجتون عن

صراع الحضارات التى يقصد بها صراع الأديان ، وفى ألمانيا نجد من يؤمن بهذه النظرية مما سيؤدى إلى وجود توتر فى المجتمع الألمانى .. ففى ألمانيا الآن ٤ ملايين مسلم ألمانى ، إذا لم يشعروا بالأمان فسيكون المجتمع مهددا .. وقد طلب منا الرئيس فى هذا اللقاء أن نفعل ما نستطيع لكى نمنع الصدام داخل المجتمع ، ونحقق الوفاق الاجتماعى بين المسلمين والمسيحيين فى ألمانيا ، وأريد أن أقول : إن مصلحة ألمانيا تقتضى التعايش السلمى بين المسيحيين والمسلمين فى الداخل ، وكذلك فإن البعد الخارجى يدفعنا إلى التعايش مع الدول الإسلامية .. بحيث نلتقى مع فكر المسلمين ..

ونحاول أن نتعرف عليهم عن طريق الحوار .. يجب أن نتعلم كيف نفهم « الآخر » ونتفاهم معه .. والتعايش يستلزم احترام الآخر .. لذلك فإننى أطالب بأن تقوم العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين فى ألمانيا وفى العالم كله على أساس أن يحترم بعضهم بعضا ، وهذا هو هدف الحوار ..

والحوار بين الأديان مسألة حساسة ، وأهم المخاطر أن تكون التوقعات من وراء هذا الحوار أكبر مما يجب ، أو أن يكون لدى أحد أطراف الحوار رغبة ظاهرة أو خفية لاستقطاب الآخر أو إقناعه بالخروج من عقيدته واعتناق الدين الآخر ، وأضيف إلى ذلك أن كل محاولة لإرغام « الآخر » على التخلى عن عقيدته ستؤدى إلى فتح الجروح القديمة ، وفتح الباب أمام الصراع .. الحوار ليس هدفه تغيير العقائد ، ولكن هدفه تبادل المعرفة والاقتراب من الآخر .. وقبول الآخر بدلا من موقف الرفض أو الإدانة .. كذلك يجب ألا يكون الهدف من الحوار محاولة مزج العقائد للتوصل إلى خليط منها ..

لابد أن نعترف أن هناك عدم ثقة لدى المسيحيين فى أوربا تجاه المسلمين ، والعكس صحيح أيضا .. وهذا الشعور لن يزول إلا بزوال المخاوف التى يحملها البعض تجاه البعض الآخر .. ولن يتحقق ذلك إلا حين يلتقى المسيحيون والمسلمون فى إطار احترام كل منهما لعقيدة الآخر ..

وقال الدكتور هوبون :

إننى أقول بوضوح : يجب ألا يحاول البعض استخدام الحوار وسيلة للتبشير ، وأقول للألمان : إن التفاهم والمعرفة يجب أن تحل محل العدوانية وسوء الظن .. وقد لا نجد صعوبة فى الحوار الذى يقوم مع ممثلى الكنائس ولكننا نجد صعوبة فى التعامل مع صانعى القرار السياسى ومع وسائل الإعلام ، ولذلك فإن الحوار يجب أن يبدأ مع رجال السياسة والمشتغلين بالإعلام ..

إن الرئيس الألمانى هيرتزوج هو أول رئيس ألمانى يدعو إلى حوار مع المسلمين الألمان ، والحوار هو الوسيلة الحضارية للحياة المشتركة فى بلد واحد بين المختلفين فى العقائد ، ولكى يحقق الحوار هدفه يحتاج إلى مجهودات مساعدة لتحسين إمكانات التعاون بين المسلمين وغير المسلمين .. أن ندعو المسلمين لزيارتنا لنعرف أن لديهم مبادئ وأخلاقا وقيما لا تختلف كثيرا عما لدى المسيحيين .. وأن يشارك الألمان فى احتفالات الألمان المسلمين .. يجب أن نتغلب على المخاوف .

هناك مسلمون أتراك يعيشون فى ألمانيا يحملون الجنسية الألمانية .. وهناك من لا يحملون الجنسية ، وهذا ما يجعل الإسلام غريبا فى نظر الألمان غير المسلمين ، ويولد فيهم الرغبة فى الابتعاد عن المسلمين ، ويتصورون أن على المسلمين أن يعيشوا فى أحياء خاصة بهم .. وهذا خطأ .. يجب أن ينفتح المجتمع الألمانى ويسمح للأقلية المسلمة بالاندماج فى هذا المجتمع وأن تذوب فيه . إننى أرجو أن تصل ألمانيا إلى يوم لا تكون فيه هناك تفرقة بين المسلم وغير المسلم ..

فى المجتمع الألمانى تحدث حوادث قتل واعتداء على المسلمين .. ولكى نتفادى التصعيد فإن علينا أن نتقبل فكرة الحياة المشتركة .

وأضاف الدكتور هوبون :

– إننى كمسلم أقول : إن ما يحدث فى بعض الدول الإسلامية ينعكس علينا هنا .. هناك من يوظف الإسلام وينشر الإرهاب باسم الإسلام .. وما يحدث فى أفغانستان أو الجزائر ينسب إلينا هنا ونحن أبرياء من الإرهاب .. لذلك نهيب بإخواننا المسلمين فى البلاد الإسلامية أن يرفعوا أصواتهم لتصل إلى هنا ويعلنوا أن الإسلام برىء من الإرهاب ومن العنف .. وما يقوله الإمام الأكبر شيخ الأزهر هنا يجعلنا نرفع رؤوسنا كمسلمين ألمان .. ونقول : إذا أردتم أن تعرفوا الإسلام اعرفوه من شيخ الأزهر الذى يعلن أن الإسلام برىء من الإرهاب والقتل والتطرف ..

وكانت هذه أيضا وقفة بالإنصاف .. وكانت مفاجأة ..

وقال الدكتور فان ايس منسق الندوة تعليقا على حديث الدكتور هوبون .

– لابد أن نشير إلى أهمية تغيير نظام التعليم .. ما الذى يتعلمه التلميذ عن دينه وعن دين « الآخر » ..وهذا يؤدى إلى إعلان حق المسلمين فى ألمانيا فى تعليم أبنائهم مبادئ الدين الإسلامى فى المدارس وهم ممنوعون من ذلك .. وإعطاء المسلمين حق الانتخاب .. ولا أريد أن أنكر أن فى ألمانيا شعورا عدائيا ضد الإسلام وضد الأجانب .. وهذه العنصرية قد لا يكون السبب فيها العداء للإسلام ولكن السبب هو العداء للأجانب عموما .. بدليل أن الألمان لديهم نفس الشعور العدائى تجاه الأجانب القادمين من روسيا وبولندا ..

وطلب الجميع من فضيلة الإمام الأكبر أن يقول كلمته ..

وقال الإمام الأكبر :

– أنا أوافق على ما قيل فى هذه الندوة ، فقد سمعت أفكارا حسنة لا تعكس إلا الرغبة فى الوصول إلى التعاون بين الأفراد والمجتمعات ، ولو أن المسئولين فى كل دول العالم فهموا الحقائق التى قيلت فى هذه الندوة لكانت

العداوات بسبب الخلافات العقائدية من آثار الماضى ، ولعاشت كل دولة فى استقرار وأمان مع اختلاف عقائد أبنائها ، وأحب أن أقول : إن العقول السليمة تهدف دائما إلى البناء لا الهدم ، وإلى التعمير لا الإفساد ، وإلى تقريب الناس لا تفريقهم ، وإلى غرس الفضائل ..وفى هذا درجة من الاتفاق بين العقول السليمة تضمن التعايش والأمن مهما اختلفت العقائد .

وأحب أيضًا أن أقول : إنه ليست هناك مشكلة ليس لها حل ، فكل مشكلة يمكن حلها إذا وجدت النوايا الطيبة ، والعزيمة والشجاعة ، وإذا وجدت قبل ذلك الموضوعية والعدالة . فلنبدأ بالاتفاق على أن الناس محتاجون لأن يتعلموا الموضوعية والعدالة والمساواة بين البشر ، وبعد ذلك فإن اختلاف الأديان أو اللغات أو الأقطار سيكون أمامهم من الأمور التى لا تستوجب تبادل العداء والكراهية .

وختم الدكتور فان ايس الندوة بكلمة مؤثرة قال فيها :

– إننى أشكر الإمام الأكبر شيخ الأزهر .. فقد تعلمنا منه الكثير خلال هذه الندوة .. وبعد الكلمات الرفيعة التى قالها لنا لا نجد ما نقول .. وأنا سعيد جدا لأننا ونحن لا نملك سلطة استطعنا أن نتوصل إلى اتفاق يجمع بين قلوبنا رغم اختلاف عقائدنا .. واستطعنا بروح التسامح والرغبة فى الفهم بإخلاص أن نرتفع إلى مستوى صعوبة المشكلة التى نبحثها ..

وباسم الجميع الحاضرين هنا أقدم الشكر والتحية لضيفنا الكبير صاحب الفضيلة شيخ الأزهر ..

وكانت الطائرة فى انتظار الإمام الأكبر للانتقال إلى فرانكفورت .

* * *

فى الصباح كان الإمام الأكبر فى طريقه إلى مدينة مانهايم للقاء مع المسلمين وأداء صلاة الجمعة والقاء كلمة ..

كان فى انتظاره السيد عثمان اوتزاى رئيس الرابطة الإسلامية ، والأمين العام للرابطة الدكتور راينر البيرت والمشرف العلمى السيد بكير البوجا .. وكان فى استقباله أيضا راعى الكنيسة البروتستانتية المواجهة لمسجد السلطان سليم .. وظل هذا القس مصاحب للإمام الأكبر طول الزيارة بل وشارك فى الخدمة أثناء تقديم الغداء .. وكانت لهذه الروح أثرا بالغا فى نفس الإمام الأكبر ..

* * *

بعد الصلاة والخطبة والغداء مع مجلس إدارة المسجد والكنيسة توجه الإمام الأكبر إلى مقر رئاسة الكنيسة الإنجيلية فى هسن وناساو فى مدينة دار مشتات وكان فى انتظاره الرئيس الكنسى البروفيسور شتاين أكر ومجلس رئاسة الكنيسة وأعضاء حلقة الدراسات الإسلامية التابعة للكنيسة ..

قال رئيس الكنيسة : إننا نرحب بضيفنا العظيم ، إن هذه الزيارة تزيد من عمق العلاقات بين ألمانيا ومصر ، وبين المسيحيين والمسلمين ، وأنتم يا صاحب الفضيلة لكم مكانة رفيعة .. لأن الأزهر مؤسسة عظيمة لها تاريخ عظيم .. ولكم سمعة عالمية كعالم من أكبر علماء الإسلام ، وتتمتعون بالسماحة والأفق الواسع والقدرة على التأثير بالمنطق والعقل .. وكنيستنا تقدم الخدمة للمسلمين الذين يعيشون فى دائرة عملها .. ونحن مهتمون بالحوار بين الأديان لإقامة جسور التفاهم وإزالة المخاوف والعداوات .

وقال الإمام الأكبر :

– إن الأديان على اختلافها يجمعها أصل واحد هو إخلاص العبادة لله ودعوة المؤمنين بها إلى العدل والصدق والمحبة وتبادل المنافع والابتعاد عن العداوات والعنف واجتناب الرذائل ، ولا اختلاف بين الأديان فى ذلك . ويسرنى أن أسمع أنكم تقدمون خدماتكم للمسلمين وللمسيحيين ، فهذا يساعد على التقريب والتآلف .

وكانت المشكلة التى أراد رئيس الكنيسة رأى شيخ الأزهر فيها هى : هل إقامة الأذان بمكبرات الصوت جزء من شعائر الصلاة .. لأن المسلمين لهم مسجد صغير فى حى يسكنه الألمان المسيحيون .. ويستخدمون مكبرات الصوت فى الفجر ؛ وبذلك يزعجون الألمان فى وقت راحتهم .. والمجتمع الألمانى حريص جدا على الهدوء وتوفير النظام والهدوء .. ولا يريد المسيحيون أن يعتدوا على حق المسلمين فى الصلاة ولكنهم يطالبون بحقهم هم فى الراحة فى وقت النوم .. فهل يتعارض ذلك مع شريعة الإسلام ..

وضحكنا ..

وقد تبدو المشكلة بسيطة بالنسبة لنا ، ولكنها فى المانيا تسبب إزعاجا لا يمكن تصوره .

وقال الإمام الأكبر :

– إن المسلمين عليهم مراعاة حقوق غيرهم .. فإذا كان من حق المسلمين أن يؤدوا الصلاة ، فمن حق غير المسلمين ألا يكون ذلك على حساب راحتهم .. ومكبرات الصوت ليست من شعائر الصلاة كما يقولون .. ويكفى أن يكون الأذان بصوت هادئ .. ونحن ننصح الفريقين بالتسامح ..

ولا أستطيع أن أعبر عن شعور السعادة الذى ساد المجتمعين ..

وطلبوا من الإمام الأكبر التوقيع على هذه الفتوى ليقدموها إلى المسلمين ويطالبوهم بمراعاة حقوق « الآخر » ..

* * *

وفى لقاء شيخ الأزهر مع ممثلى الحلقة الدراسية الخاصة بالاسلام جاء القس الدكتور ثروت قادس مع كل ممثلى الكنيسة المصرية الأرثوذكسية فى ألمانيا ومعهم عدد كبير من القسس الألمان من الكنائس البروتستانية والكاثوليكية .

وظهرت مشاكل .. الدولة لم تعترف بتعليم الدين الإسلامى للمسلمين فى المدارس .

وأن بعض القسس يعلمون الدين الإسلامى للأطفال المسلمين .

وليس فى الجامعات الألمانية أقسام لتخريج معلم الدين الإسلامى .

وقال شيخ الأزهر : إنه آن الأوان لتسمح الدولة بتدريس الإسلام . وأن يقوم المدرسون المسلمون بتدريس العقائد فهم الأقدر على ذلك ، كما أن العبادات فى الدين المسيحى لا يقوم بتدريسها إلا المدرسون المسيحيون .

وقال : إن الأزهر مستعد لتأسيس كرسى فى إحدىالجامعات الألمانية لتعليم مدرس الدين الإسلامى .

وكانت السيدة قسمت الناحل حاضرة . وهى بنت حمادة الناحل الشخصية السياسية المصرية المعروفة فى الأربعينات .. وقالت ما أذهلنا ..

قالت :

– إن المشكلة التى تواجهنى كمسلمة هى مشكلة كل المسلمين فى ألمانيا الحاصلين على الجنسية الألمانية . وهى مشكلة الهوية .. لأنى مسلمة مصرية

وزوجي مسلم أوروبي .. وكنت حريصة على تعليم أبنائي الدين الإسلامي . ولكن المدارس في ألمانيا لاتعلم الدين الإسلامي ، وليس في المنهج حصة للدين الإسلامي .. ووجدت أن أبنائي بدون دراسة للدين سوف يتعرضون لأفكار وانحرافات مادية خطيرة .. فلم أجد إلا أن أطلب تعليمهم في حصص الدين المسيحي ، وقلت أن يتعلموا دينا أفضل من أن يجهلوا كل الأديان .. والمشكلة الأخرى أن عندنا في ألمانيا صورا كثيرة للاسلام .. السنة .. والشيعة .. والعلوية .. والقاديانية .. والأحمدية .. واتجاهات أخرى .. والألمان يسألون : أين الإسلام بين هؤلاء ؟ .

وأجاب شيخ الأزهر :

– نحن في مصر لا نقبل أن يلتحق أبناء المسيحيين في فصول تعليم الدين الإسلامي ونخصص لهم مدرسين مسيحيين .. فكيف لا تفعل ألمانيا ذلك ؟ والأزهر مستعد لإعداد المنهج وإرسال مدرسين للدين الإسلامي إذا طلبت الحكومة الألمانية ذلك .

واختلاف المذاهب والطرق الإسلامية مثل اختلاف المذاهب المسيحية لا يعني أن هناك أكثر من إسلام ، فالجميع متفقون في الأصول ومختلفون في الفروع .

وسأل القس فوجيل :

– منذ ٨ سنوات وسلمان رشدي مهدد بالقتل ، وقد طلبتم تشكيل لجنة من ممثلي الأديان للنظر في مدى الكذب الذي اقترفه في حق الإسلام .. هل تم تشكيل هذه اللجنة ؟ .

وقال شيخ الأزهر :

– لقد اقترحت هذه اللجنة منذ ٤ سنوات وقلت أنا لا أوافق على القتل ، ولكني أيضا لا أوافق على ترك الاتهامات والافتراءات التي ذكرها سلمان

رشدى لنبى الإسلام وزوجاته وبناته .. لابد من تحقيق علمى تاريخى ، وإعلان نتيجته ، ويكفى أن يعرف العالم أن سلمان رشدى كاتب مخادع وكاذب ، وليس له دافع إلا طلب المال والشهرة بإظهار العداء للإسلام وبتلفيق الاتهامات للرسول عليه الصلاة والسلام .

وحتى الآن مازلت أطلب من بريطانيا تشكيل هذه اللجنة باعتبار أن سلمان رشدى يحمل الجنسية البريطانية .

وسأل أحد الحاضرين :

– هل تعلمون أن الجماعات المتطرفة فى تركيا لها تأثير على المسلمين الاتراك فى المانيا ؟ .

وقال شيخ الأزهر :

– هذه مسائل داخلية تختص بها الدولة الألمانية ولاشأن لنا بها .

وطلب القسس الألمان شرحا عن الأزهر وجامعته ومعاهده ونوع التعليم فيه ، وهل ممنوع دخول الفتيات جامعة الأزهر ؟

وسأل أحد القسس :

– هل يشعر شيخ الأزهر بالإحباط لأنه يدعو إلى السماحة والابتعاد عن الإرهاب ومع ذلك مازال الإرهاب موجودا ؟

وقال شيخ الأزهر :

– لا أشعر بالإحباط أبدا .. مهمتى أن أدعو إلى سبيل ربى بالحكمة والموعظة الحسنة وأن أجادل بالمنطق والعقل .. وأرى أن مساحة العقل تزداد ، وأن العقول الضيقة يقل عددها .. والإرهاب ينحسر .. ومن ينكر الحق اليوم لابد سيعترف به غدا .. والإرهاب إلى زوال .

وسؤال : ألا ترى أن الفقر هو سبب الإرهاب ..

والاجابة : هناك فقراء ليسوا إرهابيين .. وهناك إرهابيون ليسوا فقراء ..

الإرهاب تجارة لها معسكرات فى الخارج .. وهذا معلوم ولو أن هناك من يطلب حقا فليفعل ذلك دون عدوان على الآخرين .

وسؤال :

– هل الإرهابيون هم الأسرع وأكثر تقديما للخدمات للفقراء فى مصر ؟

– وأجاب شيخ الأزهر :

– من قال هذا .. إن الدولة تقدم خدمات لا حصر لها فى التعليم والعلاج والتأمينات والمعاشات والاسكان .. وهناك جمعيات تقدم مساعدات .. وليس معقولا أن يقدم الخدمات للفقراء من يقتل الآخرين غدرا ..

وسؤال : لماذا يوجه الإرهابيون أسلحتهم للأقباط فقط ؟

وأجاب شيخ الأزهر :

– إن الإرهاب يقتل غدرا المسلمين والأقباط .. وكما قال قداسة البابا شنودة فإن ضحايا الإرهاب من المسلمين أكثر من الأقباط ..

وسؤال : هل هناك خلافات بين شيخ الأزهر ووزير الأوقاف والمفتى فى مصر .

وأجاب شيخ الأزهر :

– هذه الخلافات لا وجود لها على الإطلاق .. نحن جميعا نعمل من أجل هدف واحد .. وتربطنا صداقات شخصية .. ولا أعرف من أين يأتى الإعلام فى الغرب بهذه الأكاذيب .

واستمر الحوار ساخنا .

وشيخ الأزهر يجيب برحابة صدر .

إلى أن دق جرس ..

لم يبق على موعد الطائرة إلا ساعة ..

وصفق الجميع لشيخ الأزهر .

وكان وداعا مؤثرا ..

بالعناق والقبلات .. ودعوات للحضور لندوات ومحاضرات ولقاءات وجولات ..

وسار الإمام الأكبر فى مظاهرة حب فى طريقه إلى المطار ليعود إلى القاهرة .

* * *

ويبقى أن أقول :

- إن هذه الزيارة حققت أهدافا تفوق بكثير كل ما كان متوقعا .
- وإن العلماء والمستشرقين ورجال الدين الألمان كانوا فعلا راغبين فى إقامة حوار لتفهم حقائق الإسلام .
- وإن الحكومة الإسلامية تسعى إلى التفاهم مع المسلمين الذين يعيشون فى المانيا بعد أن تفاقمت المشاكل نتيجة سوء الفهم وسوء المعاملة ، وتوصلت إلى حقيقة أن استيعاب المسلمين فى المجتمع الألمانى ، وقبول وجود دين آخر فى أوروبا عموما هو الحل لإعادة السلام والاستقرار فى المجتمعات الأوروبية .
- إن قضية الحوار بين الأزهر والديانات الأخرى أصبحت لها الأولوية .

وإن الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى يمثل وجها مشرقا للإسلام ، بالمنطق الذى يتحدث به . والذى يخاطب به العقل الأوروبى ويقنعه ، ولابد من أن يسعى الأزهر إلى تكوين جيل من هذا الطراز الرفيع من رجال الدين الإسلامى ، لأن رجلا واحدا لا يكفى .

ونحتاج إلى رحلات كثيرة كهذه يقوم بها شيخ الأزهر كى يصحح صورة الإسلام فى الغرب فى مواجهة حملة شرسة للتشويه .